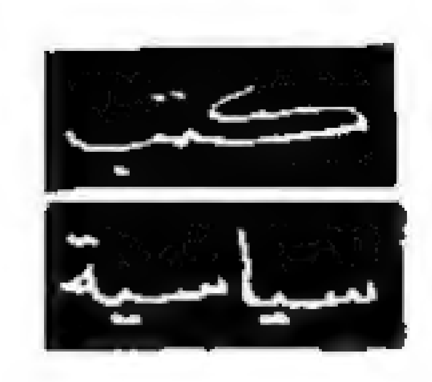


السياسة الخارجية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية

تأليف جون و. سبانيير

ترجمة سامي حسن سري

مراجعة حسين الحوت

مقدمة المؤلف

الهدف الذى سعيت اليه من وراء تاليف هذا الكتاب هو ان اقدم عرضا للسياسة الخارجية الامريكية منذ عام ١٩٤٥ : اى منذ انهيار التحالف الذى كان قائما بين الغرب والاتحاد السوفييتى فى اثناء الحرب العالمية الثانية ؛ وبداية الحرب الباردة . وسوف يتضمن هذا العرض ذكرا للجهود الكثيرة التى بذلتها كل من حكومتى ترومان وايزنهاور لكبح جماح التوسع الشيوعى فى اوروبا وآسيا والشرق الاوسط . وهذا الكتاب لا يعد ، مع ذلك ، مجرد تسجيل للأحداث ، ولكنه يعتبر اساسا تحليلا للسياسة الخارجية الامريكية فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية وانى آمل ان يسهم الكتاب فى تفهم أحداث الماضى وادراك المشكلات الأساسية التى تواجه الولايات المتحدة الآن فى المحيط الدولى بصورة أكثر تعمقا ، وخاصة المسألتين الجوهريتين اللتين تتوقف عليهما سلامة الولايات المتحدة والعالم الغربى بل بقاؤهما وهاتان المسألتان هما : طبيعة الاستراتيجية العسكرية الأمريكية ، ومستقبل الدول المتخلفة .

والتحليل الذى يتضمنه هذا الكتاب يدور فى نطاق الاسلوب التقليدى الذى تتبعه الولايات المتحدة فى معالجتها للشـــئون الخارجية . ذلك لانه منذ بداية عام ١٩٦٠ اصبحت هناك دلائل كثيرة على أن الديموقراطية الامريكية ، بكراهيتها الشديدة لسياسة القوة ، قد علقت ، ومازالت تعوق اعطاء رد كاف على التحديات الايديولوجية والاجتماعية والاستراتيجية لهـــذا العصر .

فالديموقراطية ، بفصلها بين الحرب والسلم وبين القـوة والدبلوماسية ، جعلت من المحال ايجاد وحدة بين القوة والسياسة. كما أن الاستراتيجية العسكرية الامريكية كانت سببا فى شلل سياستنا الدبلوماسية .

على أن الازمة الحالية للسياسة الخارجية الامريكية هى ، باختصار ، ازمة المجتمع الامريكى . لان الديموقراطية تعتبر من نتائج ثقافة الطبقة الوسطى السائدة فى المجتمع الأمريكى . وهذا الكتاب يركز الاهتمام على الدعوة لاعادة النظر فى هـذا الوضـع وتعديله .

الباب الأول

أسلوب الديموقراطية فى معالجتها للسياسة الخارجية

فى اعقاب الحرب العالمية الاولى كتب هالفورد ماكيندر ، عالم الجغرافية السياسية الانجليزى يقول : « ان من يحكم اوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم ، وهذا القلب يتالف من روسيا والصين وكذلك ايران وافغانستان ، ومن يحكم قلب العالم يسيطر على الجزيرة العالمية ، التى تتالف من اوراسيا وافريقية ، ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم » . وبعد مضي عدة سنوات رد نيكولاس اسبايكمان ، عالم الجغرافية السياسية الامريكى ، على ماكيندر ، فكتب يقول :

« ان من يحكم بلدان الحافة (١) ، يحكم قارة اوراسيا ، ومن يحكم اوراسيا يتحكم فى مصير العالم » .

ولا يستطيع اثنان من المتطرفين تلخيص فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بمثل هذه المهارة . فالاتحاد السوفييتي والصين الشعبية يحتلان الآن الجانب الاكبر من قلب العالم ، تحيط بهما

---

(١) تتالف الحافة العالمية من الدول الاسكندنافية ودول اوربا الغربية وايطاليا واليونان وتركيا والشرق العربية وايران وافغانستان والهند وبورما وتايلاند والملايو والهند الصينية وكوريا . وتعتبر الحافة جزءا من قارة اوراسيا .

بلدان الحافة المكشوفة على طول حدود تمتد مسافة ٢٠ الف ميل . ويسعى الشيوعيون الى مد سيطرتهم الى هذه البلدان ، وهذا من شأنه ان يجعل من الولايات المتحدة والامريكتين ــ اى نصف الكرة الغربي ــ جزيرة منعزلة وسط بحر خضم . وستصبح سلامة امريكا حينئذ مزعزعة جدا ولا يمكن حفظ الأمن فيها الا اذا تحولت امريكا الى حامية مسلحة ، وتم تنظيم المجتمع الامريكى على هذا الاساس . وهو شرط لا يتلاءم مطلقا مع اسلوب الحياة الامريكى . وعلى اسوا الفروض ، ستصبح الولايات المتحدة تحت رحمة الكتلة السوفييتية التى تسيطر على قارة اوراسيا . وان مقدرة الولايات المتحدة على حفظ امنها ــ بل فى الواقع ضمان بقائها تحت هذه الظروف ــ انما يعتمد على مدى قدرتها على ايجاد توازن للقوى فى اوراسيا لمنع الشيوعيين من التوسع الى داخل بلدان « الحافة » او قيامهم باضعاف فاعلية هذه البلدان .

وفى عام ١٩٤٥ كان استعداد الولايات المتحدة لخوض النضال ضد الشيوعيين وتولى مسئولياتها الدولية اكثر ضعفا مما كان عليه فى اى وقت آخر .

فالديموقراطية الامريكية ، فى نظرتها الى العالم والى رسالة امريكا فى هذا العالم ، لم تراع ، الا فيما ندر ، حقائق التحدى الذي واجهته .

وهناك عاملان هما السبب الرئيسي فى ذلك . احدهما أن امريكا تعتبر ، الى حد كبير جدا ، مجتمع الطبقة الواحدة او الطبقة المتوسطة ، اذ يشترك جميع افراد هذا المجتمع في معتقدات وقيم راسمالية وديمقراطية واحدة . فى حين نجد ان المجتمعات الاوربية، على العكس من ذلك ، تضم ثلاث طبقات ، فهى ليست مؤلفة من طبقة متوسطة واحدة ، وانما تضم هذه المجتمعات ايضا طبقة

ارستقراطية توجه كل اهتمامها ونشاطها لدعم اقدامها فى الحكم او فى العمل على الاستيلاء على الحكم من جديد من اجل اعادة عهود الاقطاع التى كانت سائدة فى الماضى . وبجانب هذا ادت حركة الانتقال من الريف الى الحضر وحركة التصنيع التى صاحبتها فى اوروبا فى خلال القرن التاسع عشر ، الى ميلاد طبقة بروليتاريا . وقد تحولت طبقة البروليتاريا هذه الى طبقة ثورية لأنها شعرت بأنها لا تحصل على قدر عادل من الدخل القومى . وباختصار كانت امم العالم القديم تتألف من ثلاثة عناصر ارستقراطية رجعية ، وطبقة وسطى ديمقراطية ، وطبقة بروليتاريا ثورية . فاذا نظرنا الى هذا التقسيم من الناحيتين الثقافية والسياسية فاننا نضعه على النحو التالى : يمين ، ووسط ، ويسار .

وليس لدى الولايات المتحدة الا « وسط » فقط من الناحيتين الثقافية والسياسية كما انها تفتقر الى حركة يسارية حقيقية معارضة ، كالاشتراكية او الشيوعية .

ومن اهم نواحى الصرامة فى المجتمع الامريكى انه على الرغم من اتفاق الامريكيين فى المعتقدات الى حد كبير ، فان خوفهم من الخطر الخارجى يدفعهم الى الاصرار على ضرورة تأكيد الولاء « لأسلوب الحياة الامريكى » ومطاردة الجماعات ، او القوى ، الداخلية التى تخون هذا الاسلوب فى الحياة . وان مجرد ابداء الاعتراضات يعرض الاشخاص للاتهام بعدم الولاء ، وبأن تفكيرهم ومسلكهم « غير أمريكى » ومن ثم نجد المجتمع الامريكى شديد الحساسية فيما يتعلق بالنشاط الهدام ، كما انه يخشى الخيانة فى الداخل كلما تعرضت الامة للتهديد من الخارج .

والسبب الآخر الذى يعزى اليه عدم الاستعداد الشديد من جانب الولايات المتحدة لخوض ميدان السياسة الدولية بعد الحرب

العالمية الثانية ، ينقسم الى ثلاثة عوامل هى : لبرالية القرن التاسع عشر ، وفلسفة الطبقة الوسطى ، ومبدأ الامن الخارجى .

فالتفكير اللبرالى كان مهتما بنوعين فقط من العلاقات وهما : علاقة الافراد بعضهم ببعض ، وعلاقة الافراد بالنسبة للدولة .

وقد كان هذا التفكير فى حد ذاته انعكاسا لنضال الطبقة الوسطى فى أوربا ضد الدولة الاقطاعية التى تملك أقوى السلطات . وكانت الطبقة الوسطى ترى ان سلطة الدولة جاءت من افتقار الافراد الى الحرية ، ولذلك كان هدف هذه الطبقة العمل على تقييد سلطة الدولة .

ولن تتمكن هذه الطبقة من الظفر بالحرية الفردية ، وفوق كل شيء الحصول على الحق فى انشاء المشروعات الفردية — وهو ماتسعى اليه بالذات — الا عن طريق فرض القيود على سلطة الدولة .

وقد أدى قيام الفلسفة اللبرالية بالتركيز على حقوق الافراد والتقليل من سلطة الدولة ، الى تجاهل هذه الفلسفة لوظيفة الدولة فى توفير الامن . على أنه لكى تتمكن الدولة من توفير الامن للأمة فيجب أن تكون الدولة قوية ، ولكى تتوافر للدولة هذه القوة فانها قد تلجأ الى تقييد حريات المواطنين ، والتدخل فى الاقتصاد واخضاع السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية .

الا أن اللبرالية ، على الرغم من ذلك ، تطالب بأكبر قدر من الحرية للأفراد ، ولكى توفر للفرد حقوقه فانها تلجأ الى تقييد سلطة الدولة . ومن أجل هذا قرر الدستور الأمريكى تقسيم السلطة بين الولايات المتحدة والحكومة الفيدرالية ، كما قسم السلطة داخل الحكومة الفيدرالية ذاتها فوزعها بين سلطة

تنفيذية واخرى تشريعية وثالثة قضائية . وان نظم الاتحـــاد الفيدرالى وفصل السلطات كان المقصـــود منه هو الابقاء على الحكومات فى حالة من الضعف .

ومما زاد من عدم اهتمام اللبرالية بالامن القومى كراهيتهـــا « لسياسة القوة » ولاستخدام العنف ، واعتقادها بأن المنازعات انما تنشأ بفعل رجال الدولة الاشرار الذين فسدت اخلاقهم وعقولهم نتيجة لممارستهم سلطة غير محدودة ، واعتقـــادها كذلك بأن السياسة المبنية على استخدام القوة انما هى اداة للحكام الانانيين الاستبداديين — او الحكام الذين لايقيدهم راى عام ديمقراطى — الذين يعملون على تحويل هذه الأداة لخدمة مصالحهم الشخصية . وينظر هؤلاء الحكام للحرب على انها لعبة كبيرة ، فهم يستطيعون البقاء فى منازلهم الفاخرة ينعمون بأطيب انواع الطعام وبكل وسائل الراحة والترفيه دون أن يكابدوا شيئا من متاعب الحرب وآلامها . ولا تقع تلك المتاعب والآلام الا على رأس الاشـــخاص العاديين : فهم الذين يجب عليهم ان يتركوا عائلاتهم ويذهبوا للقتال ، وان يتحملوا الضرائب المرتفعة التى تفرضها نفقات الحرب الباهظة ، وربما تدمر بيوتهم أيضا ويصاب احباؤهم او يقتلون .

والنتيجة التى يصل اليها تفكير اللبرالية من ذلك كله هى أن الدول غير الديمقراطية شريرة وميالة للحرب بالوراثة ، اما الدول الديمقراطية ، التى يتحكم فيها الشعب فى حكامه ويستبدل بهم غيرهم بصورة دورية ، فانها تكون مســــالمة وتراعى القيم الخلقية .

والتجارب التى مرت بها أمريكا تؤيد هذه الافتراضـــات الفلسفية عن طبيعة الانسان وطبيعة السياسة . فقد استطاعت هذه الدولة أن تعزل نفسها عن دوامة السياسة الدولية فى خلال الشطر الكبير من القرن التاسع عشر وفترة غير قصيرة فى القرن

العشرين ، لان الدول المجاورة لها في الشمال والجنوب كانت ضعيفة ، ولان المحيطين الهادى والاطلنطى متسعان كما ان الاسطول البريطاني كان ملتزما تنفيذ اتفاق للسلام مع امريكا . ففي ظل هذه الظروف كان السلم يبدو انه الشيء الطبيعي السائد ، كما كان يبدو أن الديمقراطية هي المرادف للنوايا السلمية والمسلك السلمي . وقد أخذ الامريكيون يعملون على عزل انفسهم عن اوربا خشية أن تتسرب اليهم التركيبات الاجتماعية والعادات الدولية غير الخلقية المتوارثة في أوروبا .

وأكد « مبدأ مونرو » الذى صدر عام ١٨٢٣ ، لاول مرة وبصورة رسمية ، وجود الخلاف الايديولوجي بين العالم القديم والدنيا الجديدة . فقد اقر المبدأ بصفة خاصة أن النظام السياسي الامريكي مختلف اختلافا اساسيا عن النظام السياسي في أوروبا ، التي تنشغل دولها بصورة مستمرة بخوض الحروب .

ومبدأ اللبرالية ، الذى يفترض أن الانسان تدفعه رغبة فى الكسب الاقتصادى ، جاء ايضا انعكاسا للتجربة التى مرت بها امريكا ، فقد توافد على الاراضي الامريكية ملايين الاشخاص وهم يسعون الى حياة أفضل من حياتهم في بلادهم . وكانت التربة الامريكية العذراء ، ذات الثروات الطبيعية ، تهيىء فرصا ذهبية لانشاء المشروعات الفردية الخاصة ، التى تدر أرباحا طائلة . وان كسب المال ليس ضرورة اقتصادية فقط لتوفير مستوى معيشي مريح للفرد ، ولكنه ايضا ضرورة نفسية تمكن الفرد من الظفر بوضع اجتماعى ممتاز وأن ينال احترام زملائه . ويستتبع ذلك ، منطقيا ، انه اذا كان الكسب المادى هو العامل الرئيسي الذى يميز بين الافراد ويخلع عليهم الاحترام ويضعهم فى المراكز الاجتماعية الممتازة ، فان كل فرد سوف يشغل كل اهتمامه بالسعى وراء « صاحب الجلالة الدولار » . ولذلك فليس هناك مايدعو الى

الدهشة اذا وجدنا أن المال يوشك ان يصبح هو المستوى الشائع لتحديد القيم في الولايات المتحدة ، بصورة تفوق ما يحدث في أى بلد آخر . فالمال هو رمز القوة والنفوذ ، ودليل النجاح .

ومن الطبيعي ، انه مادام الفرد يحشد كل طاقاته في العمل على زيادة أرباحه فانه انما يعمل في الوقت نفسه على زيادة نفوره من سياسة القوة ، وزيادة تباطئه ، في تحويل اهتمامه الى المسائل الخارجية .

واخيرا ، نجد ان مما زاد من عدم فهم امريكا لطبيعة القوة والوظائف التي تؤديها على المسرح الدولي ، هو عدم تعرض امريكا للتهديد المستمر من الخارج ، ونموها الاقتصادي السريع دون أن يصاحب ذلك اى صراع طبقي داخلي . كما أننا نجد ان العناصر الساخطة لم تشكل ابدا ايديولوجية ثورية لأن الرخاء المطرد يمنع هذه العناصر قبل ان تتمكن من ترجمة سخطها على الرأسمالية الى عمل سياسي . وعلى العكس من ذلك ، نجد ان الدول الاوربية ، بما في داخلها من صراع طبقي وما بينها من منازعات خارجية . تقدر دائما طبيعة القوة والدور الذي تقوم به .

ولقد اتضح عدم ادراك امريكا لأهمية عامل القوة في العلاقات الدولية باجلى صورة حين دخول امريكا الحرب العالمية الاولى . وقد كان السبب في دخول امريكا هذه الحرب هو قيام المانيا بشن حملة الغواصات عام ١٩١٧ بصورة أصبحت تهدد بانهيار ميزان القوة في الحرب الاوربية ، ولو ان الحلفاء الغربيين انهزموا امام المانيا في ذلك الوقت ، وهو ماكان يبدو محتملا ، لكان على امريكا أن تواجه دولة المانية تبسط سلطتها على القارة الاوربية كلها وتسيطر على روسيا الاوربية وتتحالف مع النمسا والمجر والامبراطورية العثمانية ، كما تمد نفوذها الى البلقان والشرق

الاوسط حتى الخليج الفارسي . وكان هذا من شأنه ان يشكل تهديدا خطرا لسلامة امريكا . الا ان امريكا لم تكن لتترر التحالف مع فرنسا وبريطانيا في هذه الحرب لو ان الالمان لم يشنوا حرب الغواصات الخطيرة في ربيع عام ١٩١٧ .

وبذلك دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الاولى وهي في فراغ سياسي . ولم يكن الشعب الامريكي يدرك على الاطلاق الحقائق المتعلقة بالقوة ومتطلبات الامن التي جعلت من دخول امريكا الحرب امرا تحتمه الضرورة القصوى . ولكن الشعب الامريكي كان يعتقد ان بلاده انما تقاتل من أجل الحرية والديمقراطيه وتخوض حربا مقدسة للقضاء على الاستبداد والعسكرية الالمانيين، ولالغاء سياسة القوة الى الابد .

وبعد الحرب الاولى عادت امريكا الى سابق عهدها ورفضت ان تواجه مسئولياتها كدولة كبرى . وبدلا من أن تقوم بدورها الملائم في الشئون الدولية وتحاول حفظ التوازن الدولي — من اجل منع وقوع الحرب التالية — دفنت رأسها في الرمال اكثر من عشرين عاما .

وكانت النتيجة ان المانيا التي تحالفت هذه المرة مع ايطاليا واليابان (الى جنب تحالفها مع الاتحاد السوفييتي في الفترة مابين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤١) — اخذت تسعى من جديد للسيطرة على العالم . وادى الهجوم الياباني على بيرل هاربر عام ١٩٤١ الى دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية . وبذلك لم تفلح سياسة النعامة التي اتبعتها أمريكا في منع موجات السياسة الدولية من ملامسة الشواطيء الامريكية من جديد .

وان قيام الولايات المتحدة بالغض من شأن القوة ، كما اتضح

من كل هذه الاحداث ، يدل على انها تفصل في وضوح بين الحرب والسلم في معالجتها للسياسة الخارجية .

فالسلم ميزه حالة من الانسجام بين الدول اما سياسة القوة او الحرب ، فهي امر غير طبيعي .

وان الامريكيين لا يوجهون اهتمامهم الى العالم الخارجي الا في تباطؤ شديد ، وهم لا يفعلون ذلك الا حينما يستثارون ، اي حين يصبح التهديد الخارجي من الوضوح بحيث لايمكن تجاهله . ماذا ما استثيرت امريكا واضطرت لاستخدام القوة فانها انما تدخل الحرب لحماية المبادىء التي تؤمن بها ، وللعمل على الغاء سياسة القوة التي تنبذها . ماذا ما انتهت الحرب مانها تعود الى الانطواء على نفسها من جديد والاهتمام بامورها الداخليه . ذلك لان تحويل الاهتمام عن المسائل الداخلية — التي هي اكثر اهمية من غيرها — الى المسائل الخارجية لما يدعو الى الضيق في الولايات المتحدة ، ولهذا فان تحويل الاهتمام الى الشئون الخارجية لايحدث الا بصفة مؤقتة .

وان الولايات المتحدة ، في معالجتها لشئون السياسة الدولية لا تفصل فقط بين حالتي الحرب والسلام ، وانما هي تفصل ايضا بين القوة والدبلوماسية . فمن المفروض ان الدبلوماسية ، التي لاتؤيدها القوة ، تعمل على المحافظه على الانسجام بين الدول ، فاذا مافشلت الدبلوماسية في حفظ السلام ، فان الاعتبارات العسكرية تصبح في المحل الأول من الاهمية ويجب الالتجاء حينئذ الى استخدام القوة .

وكان من نتيجة الغض من قيمة القوة - ومعالجة السياسه الخارجية باسلوب اخلاقي ، ان اصبحت الولايات المتحدة غير قادره على الربط بين القوة العسكرية والاهداف السياسية . ونحن نجد

ان اية امة لاتستطيع ان تمارس سياسة خارجية فعالة الا اذا ربطت بين هاتين الناحيتين . فالدبلوماسية ، باعتبارها اداة تحمي بها الامة مصالحها دون الالتجاء الى القوة ، لايمكنها ان تحقق اهدافها مالم تكن مؤيدة بالقوة العسكرية .

والموقف الذى واجهته الولايات المتحده عام ١٩٤٥ لم يفسح لها الفرصة في ان تظل متخلفة عن الدخول في الصراع الدولي ، فالتهديد السوفييتي كان يتطلب وضع سياسة معينة المدى تربط بصورة فعالة بين عوامل القوة السياسيه والعسكريه والاقتصاديه. وفوق كل شيء كان يتطلب الالتزام بسياسه معينه بصفة دائمة . ولم تكن الولايات المتحدة لتستطيع التملص من خوض هذا الصراع اذا رغبت في ان تبقى كدولة حرة .

الباب الثانى

بداية الحرب الباردة

توهم أمريكا فى اثناء الحرب :

جاء فى أحد التقارير التى وضعتها المخابرات الامريكية فى خلال الحرب العالمية الثانية ان الاتحاد السوفييتى سيصبح الدولة المسيطرة فى اوروبا بعد انتهاء الحرب وسحق المانيا النازية ، وان من الضرورى جدا تنمية ودعم علاقات الصداقة معه الى ابعد مدى. ويبدو ان واضعى السياسة الامريكية لم يدركوا ان احلال الاتحاد السوفييتى مكان المانيا النازية ، كدوله مسيطرة فى اوروبا ، يشكل تهديدا خطيرا لميزان القوى فى أوروبا وفى العالم كله . بل يبدو ان الولايات المتحدة لم تستفد بعد من دروس التربيع بحيث تدرك الآثار التى تتعرض لها سلامة أمريكا نتيجه لسيطرة احدى الدول على اوروبا . فالرئيس روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ، لم يكن يهدف هو وحكومته الى اعادة توازن القــوى فى أوروبا من اجل تأمين الولايات المتحده ، ولكنهما كانا يتوهمان امكان تحقيق هذا الامر عن طريق حسن النيه المتبادل بين امريكا وروسيا ، ودون ان يعزز ذلك أى اعتبار من اعتبارات القــوه . وان الاعتماد على مجرد حسن النية والاحترام المتبادل جاء دليلا على الغباوة وربما ادى الى الهلاك .

والواقع ان التفكير اليوتوبي - المجرد من اى شعور بالشك — وهو التفكير الذى اتصفت به امريكا خلال فترة الحرب — هو الذى دفعها لان تتوقع مجيء فترة يسود فيها الشعور الطيب المتبادل بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية . فقد كانت أمريكا تعتقد ان الحرب تعد بمثابة قطع لحالة الانسجام الطبيعية بين الدول ، وان القوة العسكرية هى اداة لمعاقبة المعتدى او مجرمى الحرب ، وان الذين تعاونوا مع امريكا فى هذه الحرب ، الايديولوجية متساوون فى الايمان بالمثل الاخلاقية والتجرد من الانانية ، وانه بعد ان تنتهى الحرب سيعود الانسجام من جديد بين الدول وينتهى الصراع من اجل السيطرة . ومن هنا يتضح لنا مدى التورط الذى وقعت فيه أمريكا ، فهى على هذا الاساس لاترى اية ضرورة لاتخاذ اية خطوات تتسم بالحذر ضد حلفائها الذين اشتركوا معها فى الحرب على امل ان تؤدى العلاقات الودية والاحترام المتبادل — وهو مايعتقد الزعماء الامريكيون انه قد ساد فى خلال فترة الحرب — الى المحافظة على وحدة الاهداف وضمان استمرار السلام .

وعلى الرغم من تلك التوقعات المتفائلة لما سيكون عليه العلاقات الامريكية السوفييتية فان من الضرورى ان نشرح الدلائل المتزايدة على مايكنه الاتحاد السوفييتي من شعور بالعداوة والشك تجاه الغرب . فقد كان الاتحاد السوفييتي يشك فى النوايا المنحرفة لامريكا وبريطانيا فى خلال فترة الحرب ، ذلك لان الغرب اخذ يبطئ فى فتح جبهة ثانية ويؤجل القيام بذلك من عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٤ ، مما جعل « ستالين » يشعر بالمرارة وبخاصة حينما أعلن تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك الوقت ، ان الغرب لن يقوم بعملية غزو الا بعد ان يضعف الالمان كثيرا بصورة تحول دون وقوع الكثير من الضحايا ، ولم يكن هذا بالرد الكافى الذى

يقنع « ستالين » لان الروس قدموا الكثير من الضحايا في خلال الحرب . وكانت وجهة نظر الشيوعيين ان امريكا وبريطانيا تؤجلان فتح جبهة ثانية الى ان تضعف كل من المانيا والاتحاد السوفييتي ، وبعد ذلك تزحف الدولتان على المانيا دون اراقة دماء وتفرضان السلم على المانيا وروسيا ، وبذلك تتمكن الدولتان الراسماليتان من تدمير خصميهما المذهبيين في وقت واحد .

ومن الاسباب الرئيسية التي ادت لاستمرار شعور العداوة لدى الاتحاد السوفييتي ، المحاولات التي يبذلها الغرب لشل الاتحاد السوفييتي وتدميره ، بالاضافة الى المحاولات التي استهدفت تحويل اتجاه التهديد الهتلري الذي سيعرض له الغرب وتوجيه هذا التهديد نحو روسيا . ولكي يتمكن الغرب من ازالة شعور العداوة والكراهية لدى الاتحاد السوفييتي ، كان عليه ان يثبت صداقته ونواياه الطيبة . ويبدو ان السياسة التي اتبعها الاتحاد السوفييتي والاجراءات التي اتخذها في اثناء الحرب تؤكد انه اذا ما اظهرت دول الغرب صداقتها تجاه الروس فانها تستطيع ان تكسب صداقتهم . ومن بين تلك الاجراءات ، البيانات التي اصدرها السوفييت في خلال الحرب ودعوا فيها الى السلام والديمقراطية والحرية بالاسلوب الذي استخدمه الغرب في بياناته ، وكذلك امتداح السوفييت لبريطانيا والولايات المتحدة لانهما دولتان ديمقراطيتان .

ولقد اعتقد الرئيس الامريكي روزفلت ومستشاروه انهم استطاعوا ان يقيموا علاقات ودية مع الاتحاد السوفييتي في مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ . فقد قدم ستالين عدة تنازلات في هذا المؤتمر بشأن المسائل الحيوية ، كما وعد بتقديم مزيد من حسن النية في المستقبل . ومن بين هذه التنازلات تخلي السوفييت عن مطالبتهم بتخصيص ستةعشر مقعدا فيالامم المتحدة للجمهوريات السوفييتية واكتفاؤهم

بثلاثة مقاعد فقط يحتلها الاتحاد السوفييتي واوكرانيا وروسيا البيضاء ، هذا ، بالاضافة الى التنازلات الاخرى المتعلقة بوضع الاحتلال في المانيا والوضع في اوربا الشرقية ، وكذلك موافقة الاتحاد السوفيتي على الدخول في الحرب ضد الالمان .

وقد صرح آن ذاك هاري هوبكنز ، الذى كان يعد أوثق المستشارين اتصالا بالرئيس الامريكى ، بأن هذا « هو فجر اليوم الجديد الذى كنا ننتظره سنوات طويلة ، ومن المؤكد اننا حققنا بذلك اول نصر كبير للسلام ولكل الجنس البشرى المتحضر ، ولقد اثبت الروس انهم يلتزمون جانب التعقل كما انهم يتسمون ببعد النظر . وليس لدينا اى شك فى اننا نستطيع ان نتعايش معهم سلميا فى المستقبل الى ابعد مدى يمكن لاى منا أن يتصوره » .

وكان من الطبيعى ان يتجسد هذا العهد الجديد ، عهد النوايا الطيبة ، داخل الامم المتحدة . ففى داخل هذه المنظمة الدولية تستطيع شعوب العالم أن تراقب زعماءها مراقبة فعالة بصورة تجعل من المحال على هؤلاء الزعماء الدخول فى مساومات شريرة او عقد صفقات سرية يخونون فيها مصالح شعوبهم ويمزقون سلام العالم وحينئذ تختفى سياسة القوة الى الابد . ويتضح هذا من قول « كوردیل هل » وزير خارجية امريكا فى ذلك الوقت : « لن تكون هناك ضرورة بعد الآن لمناطق النفوذ أو للاحلاف او لتوازن القوى او غير ذلك من الاجراءات التى كانت تلجأ اليها الامم فى الماضى التعس من أجل حماية أمنها او تحقيق مصالحها » فبدلا من ذلك سيكون الاعتماد على المبادىء والصداقة .

وقد اكدت اللجنة الاستشارية الامريكية ، الخاصة بالسياسة الخارجية لفترة ما بعد الحرب ، افضلية المبادىء على سياسة القوة ، وقالت ان الامن الدولى هو الهدف الرئيسى للولايات المتحدة،

ولكن هذا الامن يجب ان يتحقق في نطاق مبادىء العدالة ليكون أمنا عمليا يستطيع أن يستمر طويلا .

ثم قالت اللجنة : ان المصالح الحيويه للولايات المتحدة هي في اتباع دبلوماسية المبادىء .

التوسع السوفييتي بعد الحرب

كانت أمريكا تحلم بامكان تحقيق السلام بعد الحرب وايجاد تعاون بين الدول الكبرى . ولكن هذه الاحلام اخذت تذروها الرياح . فقد راح الاتحاد السوفييتي يتوسع داخل شرقي ووسط اوربا ويفرض سيطرته على بولندة والمجر وبلغاريا ورومانيا والبانيا ، وكانت يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا واقعتين فعلا تحت السيطرة الشيوعية . واحتفظ الروس بقوات سوفييتية في كل من هذه الدول وانشئوا فيها حكومات موالية للاتحاد السوفييتي اعطيت المناصب الرئيسية فيها للشيوعيين .

وقد اتضح من هذا ان نصوص « اعلان يالطا » الذي التزم الروس فيه اجراء انتخابات حرة وانشاء حكومات ديمقراطيه في اوربا الشرقية كانت تعني لدى الروس خلاف ما تعنيه لدى الامريكيين فالحكومات الديمقراطية كانت تعني لدى الروس الحكومات الشيوعيه ، والانتخابات الحرة تعني لديهم الانتخابات التي تستبعد منها الأحزاب التي لا يرضى عنها الشيوعيون . ومد الروس سيطرتهم على دول البلقان وبولندا وامتد النفوذ السوفييتي الى سواحل بحر ايجه ومضايق القسطنطينيه وبحر الأدرياتيك .

وكانت اليونان وتركيا وايران في مقدمه الدول التي شعرت بخطورة الضغط التوسعي السوفييتي ، وقد حاول السوفييت في الفترة التي بين انتهاء الحرب وأوائل عام ١٩٤٧ ، التغلغل على

نطاق واسع داخل الشرق الاوسط . ذلك لان الدولة التى تسيطر على الشرق الاوسط تصبح فى وضع ممتاز يمكنها من التوسع داخل الشمال الافريقى وجنوب آسيا كما انهـا تسيطر على « جزيرة العالم » .

وقد بدأ الضغط السوفييتي على ايران في اوائل عام ١٩٤٦ حينما رفض السوفييت سحب قواتهم من هـذا البلد ، تنفيذا لمعاهدة التحالف الثلاثيه التى وقعتها ايران وبريطانيا وروسيا عام ١٩٤٢ والتى تقضي بانسحاب جميع القوات الاجنبية من ايران في فتره اقصاها ستة اشهر بعد توقف القتال . بل لقد اخذ السوفييت يعززون وضعهم فى ايران ويرسلون اليها المزيد من القوات والدبابات ، وراحوا يطالبون بمزايا تعدينية وبترولية فى المناطق الشمالية بايران ويعرضون على الحكومة الايرانية استعدادهم لتزويدها بالخبراء ، فلما رفضت ايران هذه المطالب دبر السوفييت الثورة التى قام بها حزب « توده » الشيوعى الايرانى فى المناطق الشمالية فى نوفمبر عام ١٩٤٥ . واستطاع هذا الحزب ، بمساعدة السوفييت ، ان يقيم حكومة فى منطقة اذربيجان الايرانية الشمالية . وكان هدف السوفييت من كل هذا هو الضغط على ايران لتحويلها الى دولة تابعة للاتحاد السوفييتى .

وفى خلال هذه الفترة اخذت روسيا تضغط على تركيا ؛ ففى يونيو عام ١٩٤٥ طالب الاتحاد السوفييتى تجاه بفصل عدة أقاليم تركية تقع على الحدود التركية السوفييتيه واعادة النظر فى معاهدة منترو الخاصة بمضيق الدردنيل على أساس انشاء ادارة سوفييتيه تركية مشتركة لهذه المضايق ، وان تقطع تركيا الروابط القائمة بينها وبين بريطانيا ، وان توقع معاهدة مع الاتحاد السوفييتي شبيهه بالمعاهدة التى وقعها السوفييت مع دول البلقان التابعة له . وكان

الهدف من كل هذا تحويل تركيا الى دولة تسير في فلك الاتحاد السوفييتي .

وفي اليونان ايضا حاول الشيوعيون الاستيلاء على العاصمة « اثينا » بعد انسحاب الالمان منها ونزول القوات البريطانية فوق الاراضي اليونانية ، ولكن محاولتهم فشلت .

وكانت الحالة الداخلية في اليونان متدهورة في ذلك الوقت بفعل الازمة الاقتصادية والدمار الذى خلفته الحرب ، كما ان اضطرار الحكومة للاحتفاظ بجيش قوامه مئة الف جندي لحماية البلاد من الدول الشيوعية ـ المجاورة دفع بالبلاد الى حالة تقرب من الافلاس . وفي تلك الظروف اتخذ الضغط الشيوعي على الحكومة اليونانية شكل حرب عصابات واسعة النطاق بدات في خريف عام ١٩٤٦ وراحت الدول الشيوعية المجاورة تزود رجال العصابات بالامدادات .

وفي كل هذه المواقف كانت الحكومة الامريكية تجد نفسها ، فجاة مضطرة الى العمل الى جانب بريطانيا ومساندتها . فبالنسبة لايران سلمت امريكا وبريطانيا الى الاتحاد السوفييتي مذكرتين هددتا فيهما باستخدام القوة دفاعا عن ايران ، مما حمل الجيش السوفييتي يعلن انه سينسحب في خلال خمسة اسابيع او ستة . وفيما يتعلق بتركيا رفضت امريكا المذكرة السوفييتية الخاصة بمضيق الدردنيل وارسلت قوة بحرية امريكية الى البحر الابيض المتوسط ، كما رفضت بريطانيا المذكرة التي تلقتها من الاتحاد السوفييتي بشأن تركيا . اما بالنسبة للموقف في اليونان فلم يكن الامر يتطلب التدخل العاجل من جانب امريكا . ويجب ان نشير هنا الى ان الاجراءات التي اتخذتها الحكومة الامريكية بصدد ايران وتركيا كانت مجرد ردود افعال سريعة في مواجهة الازمات الملحة

وليست جزءا من استراتيجيه أمريكيه شامله ومترابطه . اذ ان مثل هذه الاستراتيجية لاتوضع الا اذا قامت أمريكا باعادة تقويم السياسة الخارجية السوفييتية من جديد .

استراتيجية « كبح الجماح »

مرت ثمانية عشر شهرا ــ منذ استسلام اليابان في ٢ من سبتمبر عام ١٩٤٥ حتى اعلان مبدأ ترومان في ١٢ من مارس عام ١٩٤٧ ــ قبل أن تبدأ الولايات المتحدة في اعادة تقويم السياسه الخارجية السوفيتية ، فقد كان من الصعب جدا أن نتوقع من الشعب الامريكي ان يتحول فجأة من اتباع مسلك الصداقة تجاه الاتحاد السوفييتي الى اتباع مسلك العداوة نحوه . كما أن الولايات المتحدة كانت لديها رغبة شديدة في السلام والعودة للانشغال من جديد بشئونها الداخلية ، وقد أخذ الشعب يطالب بتسريح القوات مما جعل الحكومة تخفض من عدد القوات المسلحة الى مستويات ضعيفة . ففي مايو عام ١٩٤٥ ، أي بعد هزيمة المانيا ، كان الجيش الامريكي في اوربا ثلاثة ملايين وخمسمائة الف جندي ، وبعد مضي عشرة أشهر فقط لم يتبق للولايات المتحدة في اوربا سوى اربعمائة الف جندي.كما قرر مجلس النواب الامريكي خفض نفقات الحكومة ليمكن خفض ضريبة الدخل بنسبة ٢٠ في المائة . وقد أدى قيام أمريكا بنزع السلاح من جانبها وحدها الى تشجيع السوفييت على المضي في اتباع اسلوب العناد في اوربا ، كما ادى ذلك الى زيادة الضغط السوفييتي في جنوب شرقي آسيا والشرق الاوسط .

وكانت هناك ثلاثة اتجاهات واضحة خلال هذه الفترة :

الاتجاه الاول : كان متطرفا ويمثله ونستون تشرشل ، فقد

انتهاء الحرب فى أوربا نصح تشرشل بعدم انسحاب القوات الامريكية من اوربا وأصر على ضرورة بقائها الى جانب القوات البريطانية لاجبار الاتحاد السوفيتى على تنفيذ ما التزم به فى مؤتمر يالتا بشأن اجراء انتخابات حرة فى أوروبا الشرقية وانسحاب الجيش الاحمر من المانيا الشرقية . واكد تشرشل ان الاتحاد السوفيتى دولة توسعية ، واكد خطورة النفوذ والسيطرة السوفييتين على وسط وشرقى اوربا . وقال : ان الحرب الباردة قد بدأت وان على الامريكيين ان يتخلوا عن احلامهم فى امكان تحقيق التعاون بين الدول الكبرى الثلاث داخل الامم المتحدة ، وأن من الضرورى قيام تحالف بين الدول الناطقة بالانجليزية من اجل صيانة امن امريكا وبريطانيا والمحافظة على السلام العالمى . وقد رفضت الولايات المتحدة آراء تشرشل هذه .

والاتجاه الثانى ، هو متطرف أيضا . ويمثله هنرى والاس ، وزير التجارة الامريكى فى ذلك الوقت ، فقد كان « والاس » يشعر بأن المسلك العدوانى ، الذى عبر عنه تشرشل ، هو المسئول عن الموقف العدوانى الذى اتخذه الاتحاد السوفييتى وقال انه لا شأن للولايات المتحدة وبريطانيا بأوربا الشرقية الا بقدر ما للاتحاد السوفييتى من شأن بأمريكا اللاتينيه . وأن تدخل الغرب فى شئون الدول المتاخمة لروسيا من شأنه ان يثير شكوك السوفييت وذلك كما يحدث حينما يتدخل السوفييت فى شئون الدول المجاورة للولايات المتحدة ، ذلك لان اوربا الشرقية تعد حيوية بالنسبه لأمن الاتحاد السوفييتى . وكذلك تعتبر امريكا اللاتينية حيوية بالنسبة لأمن الولايات المتحدة .

وقال « والاس » ان السوفييت سيحاولون . سواء اردنا او لم نرد ، « بلشفة » منطقة نفوذهم . مثلما نحاول نحن نشر النظم الديمقراطى فى منطقة نفوذنا .

واضاف قائلا : انه كلما تشدد الغرب فى موقفه تشدد السوفييت فى موقفهم ، وان الثقة المتبادلة تتيح للولايات المتحدة وروسيا فرصة العيش معا فى سلام .

أما الاتجاه الثالث ، وتمثله الحكومة الامريكية والشعب الامريكى ، فقد كان متذبذبا بين هذين الاتجاهين . فقد ادركت الحكومة أن عهد التعاون بين الدول الكبرى الثلاث قد انتهى ، وانه لم تعد هناك حاجة لأن تظهر الولايات المتحدة حسن نواياها تجاه الاتحاد السوفييتى من اجل التغلب على شكوك السوفييت . وقد حاولت أمريكا فى الماضى ان تكسب ود روسيا بالتزام الصداقة نحوها ، وانه جاء الآن دور الزعماء السوفييت لاتخاذ مسلك ودى مماثل تجاه الولايات المتحدة . كما ان الاتفاقيات المكتوبة لم تعد بمثابة دليل على قيام الصداقة بين الجانبين .

وقد وصف « جيمس بايرنز » وزير خارجية امريكا فى ذلك الوقت ، هذا الاتجاه الجديد من جانب أمريكا بانه بمثابة « السياسة القائمة على الحزم والصبر » . ولكن هذا يعنى ان الولايات المتحدة سوف تتخذ موقفا حازما حينما يلجأ الاتحاد السوفييتى الى العناد . وانها لن ترضى بالحلول الوسط لمجرد التوصل الى اتفاق سريع . وباختصار : أن موقف أمريكا الحازم سوف يجبر الروس على التزام جانب التعقل . الا انه لم يخطر ببال صانعى السياسة الامريكية ان عدم التعقل ، الذى التزمه الروس حيال عدد من المسائل ، ربما يكون قد نبع من طبيعة النظام الشيوعى نفسه . كما انهم لم يوافقوا على راى تشرشل القائل بأن الحكومة السوفييتية تكن عداء مذهبيا تجاه الغرب ، وانها ستستمر فى التوسع حتى يتم لها تدمير الراسمالية .

ولما بلغت الأزمة اليونانية ذروتها فى أوائل عام ١٩٤٧ بدأ

صانعوا السياسة الامريكيه يعترفون ، بسرعه مطـرده بالطبيعه الثورية التى يتسم بها نظام الحكم السوفييتى . وكان واضحا ان الولايات المتحدة سوف تغير من سياستها تجـاه السوفييت . وقد وضع جورج كينان ، الخبير الامريكى المشهور فى الشئون السوفييتية تحليلا يمكن ان يوصف بأنه اسـاس لسياسـة امريكية جديدة . وبدأ كينان تحليله بشرح مفصل للنظرة الشيوعية تجاه الشئون الدولية ، فالزعماء السوفييت ينظرون الى الدول الغربية نظرة عداوة فطرية، وقد علمهم المذهب الشيوعى أن العالم الخارجى عدو لهم ، وان من واجبهم ان يعملوا على قلب القوى السيـــاسية الواقعة وراء حدودهم . وقال كينان ان هذه العداوة من جانب السوفييت ستظل قائمة بصفة مستمرة ، وان هذه العداوة ينبع منها الكثير من مظاهر السياسه الخارجية السـوفييتية ، مثل السرية وعدم الصراحة والازدواج والتشكك .

ومضى كينان يقول : ان عداء السوفييت للغرب لايعنى انهم سوف ينفذون برنامج حياة او موت لقلب النظام الراسمالى فى موعد محدد ، ذلك لان تعليمات « لينين » نفسها تقضى باتباع الحذر الشديد والمرونة فى تحقيق الاهداف التى يسعى اليها السوفييت ، فاذا ماصادف السوفييت عقبات لايمكنهم التغلب عليها فان عليهم ان يتقبلوها فلسفيا ، ويكيفوا أنفسهم معها ، وان يواصلوا ممارسة الضغط المستمر المتزايد من أجل الوصول الى الهدف المقصود .

فما السياسة المضادة التى يمكن للولايات المتحدة اتباعها فى مواجهة السياسة السـوفييتية التى تبحث دائما من نقط الضعف وتحاول ملء الفراغات التى لاتشغلها اية قوى ؟ يرد كينان على هذا السؤال فيقول : انه يجب أن تكون السياسة الامريكية بعيدة المدى ، وان تتسم بالصبر والحزم واليقظة فى اتباع أسلوب كبح الجماح ضد السوفييت . فالدبلوماسية السوفييتية سهلة من حيث المظهر ،

ولكنها صعبة فى التعامل معهـا . فالسياسة السـوفييتية تبدي استعدادا للاسـتسلام فى بعض قطاعات الجبهة الدبلوماسية اذا ما اتضح ان القوى المعاكسة لها قوية جدا واكثر تعقلا فيمنطقتها . ومن ناحية اخرى نجـد انه ليس من السـهل الحاق الهزيمـة بالدبلوماسية السوفييتية وذلك بسبب الاصرار والصـبر اللذين تتميز بهما هذه الدبلوماسية ، ولهذا فانه يسـتحيل التغلب على الدبلوماسية السوفييتية الا بسياسة بعيدة المدى يضعها خصـوم روسيا .

وقد بنى كينان نظريته هذه على اساس ان اجراءات القمع والضغط المتبعة فيالمجتمعات الاستبدادية تزيد منالشعور بالفشل والخيبة فى الداخل ، ولا يمكن تصريف هذا الاحساس الا عن طريق اتباع سياسة خارجية عدوانية. والعلاج الذى يوصى كينان باتباعه هو العمل على صد التوسع السـوفييتي فيؤدى ذلك الى زيادة التوتر داخل روسيا بصورة خطيرة ينتج عنهـا اما تدمير النظام السوفييتى او اجبار الزعماء السوفييت على العمل من اجل تخفيف حدة الشعور بعدم الرضاء فى الداخـل . وبافتراض ان الزعماء السوفييت يرغبون فى الابقاء على سلطتهم وانهم سوف يضطرون بناء على ذلك ، الى اتباع الطريق الثانى — وهو العمل على تخفيف حدة الشعور بعدم الرضاء فى الداخل — فلن يكون امامهم سوى اتباع سياسة خارجية معتدلة ، لأن تخفيفحدة التوتر الدولى سوف يمكنهـم من مواجهة مشـكلاتهم الداخلية ، وبذلك لن يكون امام الكرملين الا آن يتخلى عن اهدافه الثورية وعقد ميثـاق تعايش سلمى مع الدول الغربية ، ومع الولايات المتحدة بالذات .

مبدأ ترومان :

في ٢١ من فبراير عام ١٩٤٧ سلمت بريطانيا للحكومة الامريكية مذكرتين احداهما تتعلق باليونان والاخرى تتعلق بتركيا . واوضحت بريطانيا في المذكرتين انها لم تعد تستطيع تحمل مسئولياتها التقليدية في هذين البلدين ، لان كلا منهما على وشك الانهيار بفعل التهديد السوفييتي ، وانه لن يمكن وقف التغلغل السوفييتي في المنطقة الا بالتزام امريكا بالتدخل وتحمل مسئولياتها كدولة كبرى . والواقع ان مقدرة بريطانيا على المحافظة على ميزان القوى في اوربا اخذت تتضاءل في القرن العشرين . وبقاء ميزان القوى هو الذي كفل الحماية لامريكا ذاتها فترة طويلة من الوقت . اما الآن فان على الولايات المتحدة ان تتحمل مسئولية حمايه نفسها بنفسها .

والازمة التي واجهت امريكا فجأة تركزت في شرقي البحر الابيض المتوسط ، فقد أخذ السوفييت يسعون لابتلاع ايران وتركيا عن طريق تحويل اهتمامهم الى اليونان . فاذا ما حدث ان سقطت اليونان في ايدي السوفييت فان مسأله وقوع ايران وتركيا تحت السيطرة السوفييتية ستصبح مسأله وقت . كما ان سقوط اليونان سيحدث ضغطا قويا على جارتها ايطاليا ، التي فيها أكبر حزب شيوعي في أوربا الغربية ومن ثم ستعرض أوربا الغربيه كلهـا للخطر . الا ان الخطر الملح كان يتركز ، مع ذلك ، في شرقي البحر الابيض المتوسط ، وكانت رغبة الاتحاد السوفييتي في السيطرة على المنطقة تتمثل في مطالبة الروس بمنح تريستا ليوغوسلافيا ، ووضع طرابلس الغرب وارتريا تحت الوصاية السوفييتية .

وكان على الولايات المتحدة ان تقوم بعمـل ما ، قبل انهيار الجناح الأوربي في شرقي البحر الابيض المتوسط وسيطرة الشيوعيين على الشرق الاوسط وتغلغل السوفييت في جنوب آسيا

وشمالى افريقية . وباختصار ، ان سلامه امريكا نفسها هى التى كانت معرضة للخطر فى داخل اليونان .

وفى الثانى عشر من مارس عام ١٩٤٧ القى هارى ترومان ، الرئيس الامريكى فى ذلك الوقت ، خطابا امام الكونجرس شرح فيه الموقف فى اليونان واعمال التخريب وبث الاضطراب السياسى التى يمارسها الشيوعيون فى المنطقة ، بالاضافة الى حرب العصابات فى شمالى اليونان والازمة الاقتصادية الخانقة التى واجهت اليونان واخذ الشيوعيون يستغلونها .

ثم قدم ترومان الى اعضاء الكونجرس المبدا الذى عرف باسمه ، وقال فيه ان الولايات المتحدة لا يمكنها ان تحافظ على كيانها الا فى عالم تزدهر فيه الحرية ، وان هذا الهدف لا يتحقق الا اذا كانت الولايات المتحدة على استعداد لمساعدة الشعوب الحرة فى مواجهة الحركات العدوانية التى تستهدف فرض نظم حكم استبدادية على هذه الشعوب . وقال ان هذه المساعدة يجب ان تكون اساسا فى صورة معونة اقتصادية ومالية من اجل تحقيق الاستقرار الاقتصادى ، ومن ثم الاستقرار السياسى فى تلك الدول . وطالب ترومان باعتماد مبلغ اربعمائة مليون دولار لتقديم معونات اقتصادية وامدادات عسكرية لليونان وتركيا .

وهكذا اصبحت امريكا آخر الامر عضوا عاملا فى المحيط الدولى بعد ان ادركت ان فرض النظم الاستبدادية على الشعوب الحرة من شأنه أن يقوض دعائم السلام الدولى ويقضى من ثم على امن ورخاء الولايات المتحدة ذاتها .

الباب الثالث

سياسة كبح الجماح في أوربا

مشروع مارشال :

لم يكن التزام الولايات المتحدة بمساعدة اليونان وتركيا الا بمثابة اجراء أولى تتخذه امريكا بمقتضى سياستها الجديدة الخاصة بوقف التوسع السوفيتي . فقد كانت الازمة الحقيقية ماثلة في داخل اوربا . فبريطانيا على وشك الانهيار بسبب الازمة الاقتصادية . فهي — باعتبارها جزيرة تعتمد في معيشتها ، بل في بقائها ، على التجارة الدولية — اما أن تستورد او تموت ، ذلك لأن الثورة الصناعية التي مرت بها هبطت بالعاملين في الزراعة تقل نسبتهم بالنسبة لمجموع السكان عن خمسة في المائة . وكانت بريطانيا قبل عام ١٩٣٩ تدفع قيمة ما تستورده ، من أغذية ومواد خام ، من الايرادات التي تحصل عليها من الملاحة واستثمار رءوس أموالها في في الخارج والمصنوعات التي تصدرها للدول الاجنبية ، الا أن الحرب ادت الى شل اسطولها التجاري وتصفية اغلب استثماراتها في الخارج وتدمير عدد كبير من مصانعها .

وحين حلول شهر ديسمبر عام ١٩٤٦ لم تكن بريطانيا قد حققت الا المستوى الانتاجي الذي كانت عليه قبل الحرب ، وذلك على الرغم من القرض الذي حصلت عليه من امريكا ، واتباعها

برنامج مقتضب تضمن صرف الخبز بالبطاقات . ولما اجتاحت أوربا موجة الصقيع القارسة في شتاء عام ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ تعطل اكثر من نصف مصانع بريطانيا وتوقفت حركة الملاحة البحرية والمواصلات الداخلية .

ثم جاءت الفيضانات مع بدء ذوبان الثلوج لتزيد الامر سوءا وبلغ عدد المتعطلين في بريطانيا في ذلك الوقت عدة ملايين .

كما توقفت حركة الصادرات توقفا تاما . وباختصار ، كانت بريطانيا في حالة من السوء لم تكن لتبلغ أسوأ منها الا اذا كانت قد خسرت الحرب .

أما بالنسبة لالمانيا ، فقد كانت حالتهــا بعد الحرب مروعة ، اذ كادت تتحول كلها الى كومة من الأحجار المنهارة ، واخذ الالمان الذين نجوا ، يحتمون خلف هذه الاطلال .

ومما زاد الأمر سوءا ان عشرة ملايين مواطن الماني نزحوا الى هناك بعد أن هاجروا من الاراضي الالمانية التي استولت عليها بولندا .

وكانت صورة المانيا في ذلك الوقت توضــــح ادنى درجات الانهيار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والخلقي ، واخذ الجوع والبرد يدفعان الفتيان الى السرقة ويغريان الفتيات ببيع اجسادهن أو يتعرضن للموت جوعا . وقد تفشت البطالة وانخفض مستوى الأجور انخفاضا مروعا حتى ان الاجر الشهري للعامل الذي كان يعمل في رفع الانقاض لم يكن يزيد على قيمة علبة من السجائر

وفي خلال فترة الصقيع التي اجتاحت أوربا في شــتاء عام ١٩٤٦ ــ ١٩٤٧ اغلقت ثلاثة ارباع المصـــــانع الالمانية ابوابها ، وانخفض مستوى الانتاج في فبراير عام ١٩٤٧ ليصبح ٢٩ في المائة

فقط بالنسبة لما كان عليه الانتاج في المانيا عام ١٩٣٦ . كمـا ان النقص الخطير في كميات الفحم المستخرجة من المناجم جعل من المحال لصناعة الصلب ان تقف على قدميها من جديد ، ومن ثم تعطلت الصناعات الهندسية اللازمة لاعادة تعمير البلاد ، لاعتماد هذه الصناعات على الصلب .

ولم يكن الحلفاء يبدون اهتماما كبيرا في ذلك الوقت باقالة المانيا من عثرتها لانهم كانوا مشغولين بالعمل على نزع سلاح المانيا ووقف كل الصناعات التي يمكن ان تستخدم في انتاج المواد العسكرية .

كما لم يكن الحلفاء يبدون أي اهتمام خاص تجاه الشعب الالماني الذي شردته لان ذكريات المظالم التي ارتكبها النازيون ظلت ماثلة للاذهان .

وبالنسبة لفرنسا دمرت الحرب اقتصادياتها الى حد كبير ، ولكنها بدات تستعيد نشاطها الاقتصادي في أواخر عام ١٩٤٦ ، ومع ذلك فان انتاجها من الحديد والصلب لم يكن يعادل في ذلك الوقت الا نصف ما كانت تنتجه قبل الحرب ، وذلك بسبب النقص الشديد في الفحم . ومن ثم لم تكن الصناعات تقدم انتاجا يكفي للتصدير الى الخارج من أجل استيراد الاغذية التي تحتاجها البلاد ، مما اضطر الحكومة الى انفاق كميات الدولارات القليلة التي لديها — والتي تحتاجها في عمليات اعادة تعمير البلاد — في شراء الاغذية من الخارج .

وأدت موجة الصقيع التي اجتاحت أوربا في ذلك الوقت الى ازدياد الحال سوءا ، فقد اتلف الصقيع مساحة تتردد بين ثلاثة واربعة ملايين فدان من القمح .

وقد استفاد الحزب الشيوعي الفرنسي من هذه الاوضاع

واستطاع ان يكسب الى جانبه تأييد نحو ربع مجموع الناخبين فى فرنسا ، وأغلبهم من العمال الذين شعروا بوطأة الاستغلال فى النظام الراسمالى وراوا ان من الضرورى القضاء على هذا النظام من اجل تحسين مستوى معيشتهم .

كما سيطر الحزب على الاتحاد العام للعمل الذى كان يضم ٨٠ فى المائة من مجموع العمال بعد الحرب ، وبذلك أصبح مركز الحزب الشيوعى الفرنسى قويا من الناحيتين السياسية والنقابية.

ولما ازداد التوتر فى العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى عام ١٩٤٧ اخذ الحزب الشيوعى الفرنسى يستغل مركزه القوى فى التحريض على الاضطرابات من اجل شل اقتصاديات فرنسا وجعلها تركع على ركبتيها .

وهكذا اصبحت اوربا ، وهى تواجه الانهيار ، مضطره الى الاعتماد على امريكا فى الحصول على كل مايلزمها من مواد لاعادة بناء نفسها مثل النسيج والقطن والآلات والفحم . الا ان الدول الاوربية لم تكن فى وضع يمكنها من الحصول على قدر كاف من الدولارات لشراء ما يلزمها ، كما ان الولايات المتحدة كان لديها كل ما يلزمها ولم تكن فى حاجة للاستيراد من الخارج الا فى نطاق ضيق . وهكذا واجهت اوربا عجزا فى الدولارات .

وقد اوجد انهيار اوربا على هذه الصوره مسألة جوهريه امام امريكا وهى : هل تعد اوربا حيوية بالنسبه لسلامه امريكا ؟ وكان الرد الذى لاشك فيه هو ان استقلال امريكا وسلامتها يتطلبان منها العمل على ايجاد ميزان للقوى فى داخل اوربا - من اجل الوقوف فى وجه اية دولة تسعى للسيطرة على الدول البحرية هناك تمهيدا لسيطرتها على العالم آخر الامر .

وقد كان الاسطول البريطانى هو الذى تحمل عبء المحافظة

على ميزان القوى فى أوروبا خلال الشطر الكبير من القرن التاسع عشر أما الان ، وقد اخذت قوه بريطانيا تضمحل بسرعة ، فانه يجب على الولايات المتحدة ان تتحمل العبء وحدها . وكان دور الولايات المتحدة نحو أوروبا هو دور الطبيب بالنسبة للمريض ، وقد رأت امريكا أن علاج أوروبا هو فى حقنها بكميات هائلة من الدولارات ، وذلك بوضع برنامج واسع النطاق لتقديم المعونة الاقتصاديه للدول الأروبية فى صورة منح وليس على هيئة قروض ، لان اعطاء القروض لاوروبا كان من شأنه أن يزيد من استفحال مشكلة الدولار فى أوروبا .

الا أن المعونة الامريكية كانت مشروطة بضرورة قيام تعاون اقتصادى بين الدول الاوروبية ذاتها . وقد دعا قانون التعاون الاقتصادى ، الذى صدر فى أمريكا عام ١٩٤٨ ، بصفه خاصة الى تحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول الاوروبية .

ومن هنا أصبح التكامل بين دول اوروبا ، من وجهة النظر الرسمية الامريكية ، أمرا ضروريا من أجل انعاش أوروبا من جديد، وتحقيق الرخاء لها فى المستقبل . ورأى صانعو السياسة الامريكية الذين يؤمنون بنظام الانتاج على نطاق واسع وبنفقات منخفضة ، أن انتعاش أوروبا يعتمد على انشاء سوق ضخمه فى اوروبا تذوب داخلها الحواجز الجمركيه والقيود التى تفرضها الدول الاوروبية على التجارة فيما بينها ، وبمعنى آخر تحويل أوروبا الى « ولايات متحدة أوروبية » .

وقد دعا مارشال ، وزير خارجية أمريكا فى ذلك الوقت ، وصاحب مشروع التعاون الاقتصادى المعروف باسمه ، الدول الاوروبية الى أن تضع بنفسها خطة شاملة للانعاش الاقتصادى

تتحدد فيها الاحتياجات المشتركة لهذه الدول وان تقدم هذه الخطة المشتركة للولايات المتحدة .

وعلى أساس هذا المشروع تم انشاء منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى من سبع عشرة دولة (بالاضـــافة الى منطقة تريست الانجليزية الامريكيه) وتعهدت هذه الدول « بأن تتعاون فيما بينها ، ومع الدول الأخرى المتفقة معها ، في التفكير على خفض الرسوم الجمركية والقيود الآخرى المفروضة على التجارة فيما بينها . »

والواقع كانت الدعوة للاشتراك فى هـــذا المشروع موجهة للدول الاوروبية كلها بما فى ذلك الاتحاد السوفييتى . الا أن الاتحاد السوفيتي رفض المشروع واعلن مولوتوف ، وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، ان المشروع يستهدف التدخل فى سيادة روسيا .

وكانت امريكا ترمى من وراء اشتراك روسيا فى هذا المشروع ان تسهم روسيا فى استقرار الراســـمالية الاوروبية ، فاذا ما رفضت روسيا الاشتراك فى المشروع — وفضلت استغلال حالة البؤس فى اوروبا — فسوف تقع عليها مسئولية استمرار وازدياد حدة الحرب الباردة . ولن تخسر امريكا شيئا فى كلتا الحالتين .

وقد حقق مشروع مارشال نجاحا كبيرا ، ففى عام ١٩٥٠ أصبح الانتاج فى اوروبا يزيد على معدل الانتاج قبل الحرب بمقدار ٢٥ فى المائة ، وبعد مضى عامين أصبحت نسبة الزيادة ٢٠٠ فى المائة . وتحسنت حركة التصدير البريطانية كما قلت نسبة التضخم الذى كانت تعانى منه فرنسا ، وبلغ الانتاج فى المانيا معدل الانتاج الذى كان عليه عام ١٩٣٦ . ومن ثم قلت كمية العجز فى الدولار الذى كانت تعانى منه اوروبا ، فأصبح العجز مليارين من الدولارات بعد ان كان ١٢ مليـــار دولار . الا ان المشروع فشـــل فشلا ذريعا فى عدة نواح ، فالرخاء الاقتصادى المطرد لم يكن موزعا توزيعا عادلا . وقد كان فى مقـــدمة اهداف مشروع مارشــــال كسب « الولاء

السياسي » من جانب أفراد الطبقة العاملة فى القارة الاوروبيه وتحصينهم ضد مداهنات ومحرمات الشيوعيه . الا ان العمال فى فرنسا وايطاليا ظلوا ، مع ذلك يعطون اصواتهم للشيوعيين ، ويرجع ذلك ببساطة الى ان العمال ظلوا يعيشون فى فقر نسبى بالاضافة الى ارتفاع الاسعار فى حين كانت الموائد الحقيقية للمشروع تتمتع بها دوو الحظوة .

ومن ناحيه أخرى كانت عملية الاندماج الاقتصادى تسير ببطء شديد جدا عما كانت تتوقعه أمريكا ، اذ لم يكن من السهل ازالة الحواجز والتقسيمات وعادات العمل التى تشكلت على مدى القرون ، فى سنوات قلائل .

منظمة حلف شمال الاطلنطى :

بعد اعلان مشروع مارشال بفترة وجيزة اتضح ان هذا المشروع لن يكفى لوقف التوسع السوفيتى . فقد دبر السوفييت انقلابا فى براغ فى فبراير عام ١٩٤٨ وأصبحت تشيكوسلوفاكيا داخل الستار الحديدى . وفى يونيو من العام نفسه فرض الروس حصارهم حول برلين لارغام الدول الغربية على مغادرة المدينه ، ومن هنا اتضح ان من الضرورى توفير الأمن لاوروبا عسكريا من اجل المضى فى اجراءات الانتعاش الاوروبى . وكانت اوروبا قد خطت عدة خطوات فى هذا المجال . فقد وقعت بريطانيا وفرنسا معاهدة « دنكرك » فى مارس عام ١٩٤٧ لتأمين دفاعهما المشترك فى مواجهة اى عدوان يجىء من ناحية المانيا الشرقية . وفى مارس عام ١٩٤٨ تم التوقيع على معاهدة الدفاع الذاتى الجماعى فى بروكسل بين بريطانيا وفرنسا وهولنده ولكسمبورج وبلجيكا ، وتعهدت هذه الدول بانه فى حالة تعرض احدى دول المعاهده للعدوان فان الاطراف الاخرى تهب لمساعدتها بكل ما تملك من مساعدة عسكرية أو غير عسكريه .

وقد جذبت هذه المعاهدة انتباه امريكا التى اتجهت لمنح تأييدها لدول المعاهدة . واعلن ترومان أن هذه المعاهدة تعد خطـوة هامة فى سبيل توحيد اوروبا ، كما اوصى الكونجرس بالموافقـة على منح الدول الحرة المساعدة التى تطلبها ، وفى يونيو من العام نفسه وافق الكونجرس على توصيه ترومان ، وجاءت هذه الموافقة بمثابة اساس لتحالف امريكا مع الدول الاوروبية . وفتحت امريكا بابه التفاوض مع مختلف الدول الاوروبية لانشاء حلف فى منطقة الاطلنطى .

وفى ابريل عام ١٩٤٩ م التوقيع على معاهدة حلف شـمال الاطلنطى بين بلجيكا وكندا والدنمرك وفرنسا وبريطانيا وايرلنده ولكسـمبورج وايطاليا وهولنده والنرويج والبرتغـال والولايات المتحدة . واهم مادة فى اتفاقية الحلف هى المادة الخامسة التى تنص على ان الاطراف المشتركة فى الحلف توافق على ان اى هجوم مسلح تتعرض له احدى دول الحلف ، او اكثر من دولة داخـل الحلف فى اوروبا او امريكا ، فان هذا الهجوم سيعتبر هجوما ضد كل دول الحلف ، ومن ثم فان دول الحلف تهب منفردة أو مجتمعة لاتخاذ ما تراه من اجراءات ، بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة ، لاعادة ودعم الامن فى منطقة حلف شمال الاطلنطى .

وفى عام ١٩٥١ انضـمت تركيا واليونان الى الحلف الذى اصبح يمتد فى اوروبا من النرويج الى تركيا .

واذا كانت اتفاقية حلف الاطلنطى تعنى شيئا فهى انما تعنى ان اوروبا اصبحت خط الدفاع الاول بالنسبة للولايات المتحدة ، وان الولايات المتحدة قد تعهدت بالمحافظة على ميزان القـوى فى اوروبا فى فترة السلم . واصبح الافتراض القائم هو ان خوف العدو من مواجهة المقاومة من جانب امريكا والدخول فى حـرب شاملة مع الولايات المتحدة سوف يردعه عن ثمن اى هجوم . وقد

اعتمدت استراتيجية الردع هذه اكبر الاعتماد على القوه الجوية الاستراتيجية الامريكية ، المتمثلة فى القيادة الجوية الاستراتيجية ، اى انها اعتمدت على مدى مقدره هذه القوة على تدمير الاتحاد السوفيتى تدميرا تاما بالقنابل الذرية . الا ان حدثين وقعا بعد ذلك واديا الى تغيير سياسة الاعتماد على القوة الجوية الاستراتيجية وحدها . وهذان الحدثان هما قيام روسيا بتفجير اولى قنابلها الذرية فى اواخر عام ١٩٤٩ ، وهجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية فى يونيو عام ١٩٥٠ . وكان رد الغرب على ذلك وخاصة بالنسبة للهجوم الكورى ، هو العودة للتسلح على نطاق واسع .

وعين بعد ذلك الجنرال ايزنهاور قائدا أعلى للقوات المتحالفة فى أوروبا ، وبدأ الحلف يتبع استراتيجية جديدة عرفت باسم « استراتيجية الخطوط الامامية الدفاعية » اى انشاء خط دفاعى عند نهر الب (الذى يصب فى بحر الشمال) . وكانت الاستراتيجية الغربية تدعو قبل ذلك الى انسحاب قوات الحلفاء الى مواقع أكثر تحصينا ، اما الآن فلم يعد فى الامكان تراجع قوات الحلفاء ويجب الدفاع عن أوروبا عند أقصى الاطراف الشرقيه لالمانيا الغربية بقدر المستطاع. الا أن هذه الاستراتيجية الجديدة ـ استراتيجية الخطوط الدفاعية الامامية ـ تطلب عددا كبيرا من القوات وتوفير المأوى والمطعم والمعدات لها . وكانت أوروبا فى ذلك الوقت غير مستعدة عسكريا ، اذ كان كل اهتمامها موجها لاعادة تعمير نفسها ، كما كانت أوروبا معتمدة على القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية كقوة رادعة ، وذلك بسبب احتكار امريكا للذرة .

وفى مواجهة عجز أوروبا عن تزويد جيش الاطلنطى بقوات كافية للوقوف فى مواجهة الجيش الاحمر عند نهر الب ، اضطرت الولايات المتحدة لاعادة تسليح المانيا . الا أن اعادة تسليح المانيا

اكد ضرورة التركيز على استراتيجية الخطوط الدفاعية الامامية ، وسعى آخر وضع الخطط الكفيلة بالدفاع عن الحدود الشرقية الالمانيه الغربية ، لان الالمان لن يوافقوا بسهولة على اعادة تسليحهم مالم يتيقنوا امكان وقف الجيش الاحمر عند نهر الب وعدم تعرض بلادهم لان تصبح ميدانا للحرب مرة اخرى .

انتعاش المانيا واعادة تسليحها :

بعد انتهاء الحرب وهزيمة المانيا عام ١٩٤٥ تم تقسيم المانيا ، فوضعت المانيا الشرقيه في ايدى السوفييت في حين احتلت الدول الغربية المانيا الغربية ، وكانت دول الغرب اكثر حظا ، ففي الشطر الغربي من المانيا يقطن العدد الاكبر من السكان ، كما يوجد به قلب الصناعة الالمانية . وتم الاتفاق على ان تحصل روسيا وبريطانيا وفرنسا وعدد من الدول الاوروبية الصغيرة على تعويضات من المانيا بسبب ما لحق بهذه الدول من تدمير . وتقرر ان تكون حصة روسيا من التعويضات عبارة من كل المعدات الصناعيه في المانيا الشرقية ، بالاضافة الى ربع المعدات الصناعية الموجوده في المانيا الغربية ، كما تم الاتفاق على ان تتولى روسيا تزويد المانيا الغربية بالاغذية من المانيا الشرقية التي كانت بمثابة « سلة الخبز » بالنسبة لالمانيا كلها ؛ وذلك مقابل حصول روسيا على ثلاثة اخماس المعدات الموجودة في المانيا الغربيه ، وقد اسرع الروس بتفكيك المنشآت الصناعية في المانيا الشرقية واوقفوا النشاط الصناعي في هذا القطاع ايقافا تاما ، كما امتنعوا عن تزويد المانيا الغربية بالاغذية ، خلافا لما اتفق عليه . وحينئذ اعلنت امريكا وقف التعويضات التي تقدم للاتحاد السوفييتي ، وبررت هذا العمل بأنه ما لم تحصل المانيا الغربية على حاجتها من الطعام من المانيا الشرقية فانها سوف تضطر الى زيادة صادراتها لتتمكن من استيراد الاغذية

من الخارج . ولكي مزيد من صـــادراتها فان عليها ان تزيد من انتجها . وهكذا تم نبذ الاتفاق الذى يقضي بخضـــعف الانتاج الصناعي في المانيا ، وكان هذا الاتفاق قد عقد بدافع الخوف من ان تستخدم المانيا صناعتها الثقيلة في العودة الى تسليح نفسها من جديد . وبذلك تتمكن المانيا من سد حاجاتها بل تساهم ايضا بصناعتها في انعاش اوروبا .

ورأت أمريكا في تلك الوقت تحميل المانيا الغربيه مسئولية اولية لادارة شئونها بنفسها ، مع الابقاء على عدد محدود من القوات الغربية المحالفة في المانيا لتشرف على تنفيذ النظم الديمقراطيه التي قرر الحلفاء لالمانيا ان تسير عليها . واعلن بليرنز ، وزير خارجيه امريكا ، ان الحلفاء سيبقون في المانيا للمساهمة في حفظ الامن هناك ، وكان ذلك بمثابة تحذير للسوفييت . وعلى الرغم من ان روسيا اصبحت دولة قوية في حين تحولت المانيا الى دولة من الدرجة الثانيه مما يستبعد معه قيام المانيا بشن هجوم على روسيا ، فان مخاوف السوفييت ــ كما هو معتقد ــ دفعتهم الى فرض الحصار حول برلين في ربيع عام ١٩٤٨ . وهناك تفسير آخر يقول : ان وقوف المانيا على قدميها وانتعاشها من جديد من شانه ان يعوق تحقيق أهداف روسيا التوسعية ، ومن هنا راحت روسيا تجرب اسلوب القوة اعتقادا منها ان طرد الغرب بالقوة من برلين سوف يقوض ثقة الالمان في قوة امريكا ، كما انه اذا خضعت امريكا أمام الضغط السوفيتي فان بريطانيا وفرنسا ربما يعيدان ايضا النظر في موقفهما تجاه حلف الاطلنطى .

وحينئذ ادركت امريكا مدى أهمية برلين بالنسبه لسلامه الولايات المتحدة ذاتها . واعلن الجنرال كلاى ، القائد الامريكى في المانيا . انه اذا سقطت برلين فسوف ياتى الدور على المانيا ، وانه يجب على امريكا الا تتزحزح عن موقفها اذا ارادت حماية اوروبا من

الشيوعية . وقد تمكنت دول الغرب من تزويد برلين بالاغــذية والمواد التموينية بالطائرات فى اثناء حصارها ، حتى فك السوفييت حصارهم فى مايو من العام نفسه .

التضامن الاوروبى

مما يدعو الى السخرية ان الخوف من قوة المانيا المطردة هو الذى يستحث الجهود الآن من أجل تحقيق التضـــامن بين الدول الاوروبية لايجاد نوع من الموازنه بين قوة هذه الدول وقوة المانيا . وقد ادى خوف فرنسـا المستمر من فقدان توازن القوى بينها وبين المانيا الى جعل فرنسـا تسـعى لتحقيق نوع من الاندماج بين الدول الاوروبية يتمثل فى اتحاد تتخلى المانيا داخله عن جوانب معينة من سيادتها . واقترح روبرت شومان ، وزير خارجية فرنســا ، فى مايو عام ١٩٥٠ انشاء اتحاد اوروبى للفحم والصلب من ست دول هي : فرنسـا والمانيا وايطاليا ودول البنيلوكس الثلاث(بلجيكا وهولنده ولكسمبورج) . ويقضي هذا المشروع باندماج الصناعتين الفرنسيه والالمانية بحيث لاتستطيع المانيا استخدام صناعتها فى الاغراض العسكرية ، وفي مثل هذه الظروف تصـبح الحرب بين المانيا وفرنسا مستحيلة ، ولم يكن المشروع الفرنسي يهدف فقـط الى السيطرة على قوة المانيا وجعل فرنسا فى وضـع مساو لوضع المانيا من حيث القوة ، وانما كان الهدف الثالث هو انشاء « اوروبا متحدة » تحت زعامة فرنسا ، على ان تكون وحدة فرنســا والمانيا قاعدة لاوروبا المتحدة . ومما زاد من اندفاع فرنسا فى هذا الاتجاه شعورها بضعفها حتى وهى داخل التحالف الغربى ، وبانها تتحول الى مجرد دولة خاضـعة وتابعة للولايات المتحدة التى تسبغ عليها حمايتها ، دون ان يكون لفرنسـا اى تأثير فى اصدار القرارات فى المسائل الكبرى المتعلقه بالسياسـة الغربية ، او ان تكون لها تاثير على المسرح الدولى .

ويقضي مشروع شومان ايضا بازالة جميع الحواجز التجارية بين الدول الست في قطاع الفحم والصلب ، وهذا من شأنه ان يطور المناجم والمصانع ويشجع المنتجين ، الذين يلمسون مدى فائدة السوق الاوسع نطاقا ، على المطالبة بازالة الحواجز الاقليمية في مناطق اخرى .

وبدا الاتحاد الاوروبي للفحم والصلب يتسع نطاقه ليشمل النواحي العسكرية . فاقترح بليفان ، رئيس الوزارة الفرنسية في ذلك الوقت ، انشاء جيش اوروبي يمكن بوساطته منع ازدياد القوة العسكرية لالمانيا ، وكذلك استخدام قوات المانيا في الدفاع عن اوروبا . وبناء على هذا الاقتراح تم التوقيع على معاهدة منظمة الدفاع الاوربي بين دول اتحاد الفحم والصلب في مايو عام ١٩٥٢ . ومع ان فرنسا اصرت على الا يكون لالمانيا جيش ، او وزير حربية ، او هيئة اركان حرب ، فقد كان انضمام المانيا الى معاهدة الدفاع الاوروبي بمثابة خطوة جديدة نحو استرداد المانيا لمركزها المتكافيء مع الدول الغربية الأخرى ، وكذلك تاكيد مكانة المانيا السياسية .

وفيما يتعلق باعادة توحيد المانيا فقد كانت للغرب شروط تتلخص في أن يتم ذلك من طريق الانتخابات الحرة في المانيا بشطريها الشرقي والغربي ، كما اصرت الدول الغربية على أن تترك الحرية لحكومة المانيا الموحدة في ان تتبع السياسة الخرجية التي ترغب فيها .

وقد رفض الاتحاد السوفييتي شروط الغرب لاعادة توحيد المانيا ، لان الشرط الاول يعني نهاية الحكم الشيوعي في المانيا الشرقية ، والشرط الثاني من شأنه أن يجعل المانيا الموحدة تتحالف مع الغرب ، وربما تولت الحكم فيها حكومة « كونراد اديناور » الموالية للغرب . ولم توافق روسيا على اعاده توحيد المانيا الا على أساس جعل المانيا الموحدة دولة حيادية .

وهكذا راينا ان الشروط التى وضعها الغرب لاعادة توحيد المانيا انما تضمن استمرار تقسيم المانيا ، والواقع ان هذا هو ما يريده الغرب فعلا ، ففرنسا لاتريد الاندماج مع المانيا الموحده التى ستسعى للسيطرة على أوروبا ، وبخاصه الدول الاعضاء فى الاتحاد الاوروبى للفحم والصلب ومعاهدة الدفاع الاوروبى ؛ لان المانيا ستصبح ، بعد اعادة توحيدها ، أقوى بكثير من تلك الدول كما ستكون اقوى من بريطانيا - مما جعل هده الدول تعارض هى ايضا اعادة توحيد المانيا .

ومن ناحية اخرى كان الشعب الالمانى ورجال الاعمال فى المانيا الغربية ينظرون بفتور الى مسألة اعادة توحيد المانيا ، فالشعب مشغول باعادة بناء اقتصاده والعمل على سد احتياجاته ، كما ان رجال الاعمال يرون أن اعادة توحيد المانيا يعنى تحويل رءوس الاموال الى المانيا الشرقية لرفع مستواها الاقتصادى الى المستوى الذى بلغته المانيا الغربيه . وبالاضافة الى هذا كانت هناك جماعات سياسية معينة فى المانيا تعارض اعادة التوحيد ، او لاتعطيه التأييد الكافى . فالحزب المسيحى الديمقراطى ، الحاكم فى المانيا الغربيه الذى يعكس اتجاه شعب المانيا الغربية — واغلبيته الساحقة من الكاثوليك — كان يعارض فى اعادة التوحيد لانها ستهدد مركزه فى الحكم لان شعب المانيا الشرقية أغلبيته من البروتستانت .

اما الحزب الاشتراكى الديمقراطى فانه يؤيد اعادة توحيد المانيا ويدعو للتفاوض مع روسيا على اساس حمل المانيا على الحياد بين الشرق والغرب الا ان شعب المانيا الغربيه ايد اديناور فى الانحياز للغرب والاندماج فى أوروبا الغربيه ، بمعنى انه فضل الامن داخل المعسكر الغربى على الوقوف على الحياد ، لما لمسه فيما قام به الروس حينما قمعوا ثورة المجر عام ١٩٥٦ .

تحول السوفييت تجاه آسيا :

ادي النجاح الذي حققته السياسه الخارجية الامريكية فى وروبا الى تحول السوفييت تجاه آسيا ، وما نتج عن هذا التحول من قيام الحرب الكورية عام ١٩٥٠ . فقد تلاشت فرص التوسع فى اوروبا فى ذلك الوقت امام روسيا خشية المجازفة بحرب شاملة فى الوقت الذي تحرز فيه أمريكا تفوقا ذريا ، وتعريض كيان روسيا نفسها للخطر . ولهذا يممت روسيا وجهها شطر الشرق الاقصي . وخاصة انها وجدت ان دول المنطقة التى لم تتخلص من الاستعمار الغربى ولم تحصل على استقلالها الا حديثا ، تكن شعور العداوة الشديدة للغرب . وادى انهيار الصين الوطنية وقيام حكم شيوعي فوق ارض الصين الام فى اواخر عام ١٩٤٩ الى ادخال مزيد من الضعف على مركز الغرب فى آسيا ، لأنه حول ميزان القوى فى الشرق الاقصي ضد الولايات المتحدة التي اصبحت تواجه القوة المشتركة للكتلة الصينية السوفييتية . وفى مواجهه الاصطدامات التي وقعت فى الشرق الاقصي فى خلال السنوات الاربع التالية اضطرت الولايات المتحدة الى تغيير سياستها الخارجية مستفيدة بذلك من دروس الحربين العالميتين الماضيتين .

الباب الرابع

سياسة كبح الجماح في الشرق الاقصى

سقوط الصين :

كانت امريكا ، فى خلال الحرب العالمية الثانية ، تأمل فى هزيمه اليابان واحلال دولة صينية ديمقراطيه قوية وصديقة محلها، تقوم بالدور الرئيسي فى حفظ السلام فى الشرق الاقصى . وفى القاهرة عام ١٩٤٣ قدمت امريكا وبريطانيا وعدا الى الصين بان تعيدا اليها الاراضي التى سلبتها منها اليابان (مثل منشـــوريا وفرموزة وبسكادور) كمـــا منحت امريكا الصين مقعداً فى مجلس الامن ، مما جعلها تتساوى مع الدول الاربع الكبرى .

الا ان العقبة الاولى امام انشاء صين قوية كانت تتمثل فى وجود انقسام داخل الصين نفسها بالاضافة الى احتلال اليابان لبعض اجزاء من اراضي الصين .

فقد انشأ الشيوعيون « صينا شيوعية » فى شمالى ووسط الصين الوطنية فكانت « الصين الشيوعية » هذه بمثابة دولة داخل الدولة ومساحتها نحو ١٥ فى المائة من مساحة الاراضي الصينية . وفى مواجهة هذا الوضع حاولت الولايات المتحدة ازالة الشـقاق

بين الوطنيين والشيوعيين بانشاء حكومة صينية ائتلافيه تكفل توحيد جهود الشيوعيين والوطنيين لكسب الحرب ضد اليابانيين الا ان جهود امريكا باءت بالفشـــــل . فقد كانت الثقة منعدمة بين الجانبين الوطني والشيوعي وكل منهما يسعى لاحتكار السـلطة لنفسه . وهكذا اخذت حكومة « شيانج كاي شيك » الصـينية الوطنية الموالية لامريكا ، تواجه المتاعب من جانب الشيوعيين في الداخل والخطر الياباني من الخارج . وبالاضافة الى ذلك كان الشعب الصيني ساخطا على حكومة « كاي شيك » لانها لم تستجب لمطالب الفلاحين ولم تجر الاصلاحات الاقتصادية الضرورية ، بل لقد اخذت الحكومة تعتمد في بقائها على مساندة ملاك الاراضي. وانتشر الفساد وتفشت الرشوة بين موظفي الحكومة كما ساد الفقر بين الفلاحين الذين يشكلون اربعه اخماس مجموع السكان وتتالف منهم غالبية قوات الجيش .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانيه ازداد وضـع الصينيين الوطنيين سوءا نتيجة لحدوث تضخم في النقد ، وتضــاعفت الاسعار بصورة رهيبة في الفترة مابين عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٨ مما ادى الى استفحال الفساد داخل اجهزة الدولة وخاصة أن «كاي شيك » اخذ يعين اقاربه واقارب الموظفين المقربين اليه فى غالبية مناصب الحكومة .

وهكذا اخذت حكومة « كاي شيك » تفقد التأييد الشعبى ، وفي الوقت نفسه راحت تتبع اساليب العنف ضد المواطنين ، مما زاد من نفور الشعب منها . وكان من نتيجة ذلك ان بدأ بعض المثقفين ورجال الاعمال والفلاحين الســاخطين يتحولون الى الجانب الشيوعي .

وادى زحف الجيش الروسي على منشوريا - فى نهاية الحرب في المحيط الهادى (ضد اليابان) الى دعم مركز الشيوعيين في

الصين وتهيئتهم لخوض الصراع العسكرى الحاسم ، فقد سهل الروس للشيوعيين الصينيين التوغل في المناطق الريفية بمنشوريا، فلم تتمكن القوات الصينية الوطنية حين وصولها الى منشوريا الا من احتلال المدن فقط . كما قام الروس بتفكيك المصانع في منشوريا ونقلها الى روسيا مما جعل الصين عاجزة عن تحقيق الانتعاش الاقتصادي فيها بعد الحرب .

ولما بدات المرحلة الحاسمة في الحرب الاهلية الصينية عام ١٩٤٧ كان الاضطراب وعدم الاستقرار يسودان الصفوف الوطنية لعدم كفاية القادة والتدخل المستمر في العمل من جانب «كاى شيك » وقد تمكن الشيوعيون من قطع خط الامدادات والتموين عن القوات الوطنية في منشوريا والحاق خسائر متوالية بها ، وفي فراير عام ١٩٤٩ كان الشيوعيون يسيطرون على منشوريا ، وبعد ذلك فقدت قوات «كاى شيك» مناطق الصين الشماليه . مما أضعف في القتال لدى القوات الوطنية التي تراجعت في الدفاع عن جنوب الصين ، فاضطر « كاى شيك » الى الانسحاب الى فورموزه . وفي خريف عام ١٩٤٩ أعلن «ماوتسي تونج» قيام جمهورية الصين الشعبية .

والسؤال الآن هو : هل كانت امريكا تستطيع منع هزيمة الصين الوطنية ؟ ربما امكن ذلك لو ان ضباطا امريكيين تولوا قيادة القوات الوطنية ، ولو أن أمريكا ساهمت بمزيد من الاموال والقوات البحرية والجويه والحربيه لمساندة قوات الوطنيين . الا ان امريكا لم تكن تستطيع الوفاء بهذه المطالب ، نظرا لتسريح عدد كبير من القوات الامريكية ، كما ان الشعب الامريكي لم يكن مستعدا لحمل السلاح من جديد لمحرد القتال في الصين ، وبجانب هذا وجدت أمريكا أن من الخطأ انفاق الاموال بلا حساب لدعم حكومة « كاى شيك » التي فقدت ثقة الشعب . لان تلك الحكومة الفاسدة

الرجعه غير الكافية لم تكن لتستطيع القيام بالاصطلاحات الاجتماعية والاقتصادية التى تحتاجها الصين ، ومن هنا فان المساعدات الامريكية لم تكن لتغير من المصير المحتوم الذى لقيه الوطنيون الصينيون .

اعادة تقويم السياسة الامريكية فى الشرق الاقصي :

على الرغم من انهيار الصين الوطنية واختلال ميزان القوى فى الشرق الاقصي ظلت الولايات المتحدة تنظر الى تطورات الموقف فى تفاؤل . وصرح أتشيسون ، وزير خارجية امريكا فى ذلك الوقت بانه على الرغم من اتفاق وجهات النظر المذهبية بين الصين والاتحاد السوفييتى فانهما لن يلبثا أن يصطدما بسبب احتلال روسيا لبعض المناطق فى شمال الصين وبخاصة منغوليا الخارجية ، وقيامهما بضمها الي الاتحاد السوفييتى ، وكذلك احتلالها لمنشوريا ، وهكذا اخذت امريكا تعمل للاستفادة من الصراع بين الشيوعية من جانب والقومية الصينية من جانب آخر . وفى الوقت نفسه رات أمريكا انها لكي تتجنب كراهيه الشعب الصينى لها ، فان عليها ان توقف تاييدها لحكومة «كاى شيك» كما رات ان من الضروري عدم تحويل انتباه الشعب الصينى عما قام به الاتحاد السوفيتي من استيلاء على الاراضي الصينية الشمالية ، وبذلك يمكن لامريكا استغلال ما تعتقده من تعارض فى المصالح بين الصين وروسيا .

واصدرت امريكا فى ذلك الوقت كتابا ابيض ، اعلنت فيه ان الصينيين الوطنيين فقدوا السيطرة على «الصين الأم» على الرغم من المساعدات العسكرية والاقتصادية الامريكية . وكان هذا يعنى فى وضوح ان « كاى شيك »لم يعد يستحق تأييد امريكا له ، ولهذا فان اعتراف امريكا بحكومة « كاى شيك » كحكومة رسمية للصين ، يجب ان يسحب . وقدم اقتراح بأن تعترف امريكا بحكومة الصين

الشعبية بوصفها الحكومة الرسمية للصين ، اعترافا بالأمر الواقع من ناحيه ، واظهارا للصداقة نحوها من ناحيه اخرى .

ثم اتخذت أمريكا خطوة ثانية بأن أعلنت انها لن تزود الوطنيين بالمساعدات العسكريه أو الخبراء العسكريين وأن الحكومةالامريكيه لن تسلك الطريق الذي يؤدي الى اقحامها في الحرب الاهليه في الصين . وقد ادى هذا الموقف من جانب أمريكا الى فتح الطريق أمام الصينيين الشيوعيين للاستيلاء على فورموزه ، وكان متوقعا ان يتم ذلك قبل نهاية عام ١٩٥٠ ، وحينئذ تصبح حكومة الصين الشعبية هي الممثل الوحيد للصين متعترف بها الولايات المتحدة . ورات أمريكا في ذلك الوقت انه يجب القضاء على « كاى شيك » وان تنفذ امريكا سياستها الخاصة بكبح الجماح ضد روسيا بوساطة « ماوتسي تونج » . ولكن قبل ان يتحقق ذلك نشبت الحرب الكورية .

الحرب الكورية والنزاع بين ترومان وماكارثر :

ظلت كوريا مقسمة منذ عام ١٩٤٥ . فبعد هزيمة اليابان وانتهاء الحرب العالمية الثانية اتفقت امريكا وروسيا على تقسيم كوريا عند خط عرض ٣٨° شمالا بحيث تتولى روسيا الاشراف على نزع سلاح اليابانيين في القسم الشمالي وتقوم أمريكا بالعمل نفسه في القسم الجنوبي . ومع بدايه الحرب الباردة أصبح هذا الخط قائما بصفة دائمة ، وفشلت جهود امريكا لانهاء تقسيم كوريا وتحويلها الى دولة ديمقراطيه موحدة . وفي أواخر عام ١٩٤٧ عرضت أمريكا المشكلة على الامم المتحدة وطالبتها باجراء انتخابات حرة في جميع أنحاء كوريا تحت اشرافها .

وقد قررت الجمعية العامة للامم المتحدة تشكيل لجنة مؤقتة في كوريا تتولى الاشراف على اجراء الانتخابات . ولكن الروس

رفضوا السماح للجنة بدخول كوريا الشمالية وحينئذ قامت امريكا باجراء انتخابات كوريا الجنوبية وحدها تحت اشراف الامم المتحدة واعترفت بجمهورية كوريا الجنوبية باعتبارها الجمهورية الكورية الرسمية وبحكومة « سنجمان رى » كحكومة شرعيه لها ، واخذت تزودها بالمساعدات الفنية والاقتصادية والعسكرية ، وذلك على الرغم من انها لم تكن حليفة للولايات المتحدة .

ولجأت امريكا بعد ذلك الى سحب قواتهـــا من كوريا حتى لاتتعرض هذه القوات للوقوع فى شراك تنصـــبها لها القوات السوفييتية البرية فى حالة وقوع حرب شاملة . واكتفت امريكا بالدفاع عن كوريا الجنوبية بوسـاطة القوة الجويه والبحـــرية الامريكية . ولكن عدم ارتباط امريكا باتفاقية تلتزم بتأييد كوريا الجنوبية عسكريا جعل اراضي كوريا الجنوبية بمثابة فراغ يغرى الشيوعيين بالتوسع .

وجاء الهجوم الشيوعى على كوريا الجنوبية فى ٢٥ من يونيو عام ١٩٥٠ مفاجاة تامة للحكومةالامريكية . اذ أن صانعي السياسة الامريكية كانوا يعتقدون ان الزعماء الســوفييت يبنون تفكيرهم ، مثلهم ، على أساس الحرب الشامله . وليس على أساس الحرب الصغيرة او المحدودة . ولهذا فقد تركت كوريا خارج المنطقة التى تعهدت أمريكا بالدفاع عنها فى المحيط الهادى . وهى تمتد من جزر الوشيان الى اليابان وجزر ريوكيو (أوكيناوا) والفيلبين .

دل الهجوم المحدود على كوريا الجنوبية على ان المسئولين السوفييت لم تردعهم سياسة الانتقام الشامل الامريكية ، كما اثبت أن هذه السياسه لاتصلح للتطبيق خارج اوروبا ، واتضــــح ان الهجوم المحدود فى كوريا لايمكن مواجهته الا بهجوم محلى تستخدم فيه القوات البرية الامريكية . ولكن امريكا كانت قد احدثت مخفض

من قوانها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . ولم تكن الاستراتيجية الأمريكية مستعدة بالمرة لمواجهة التحدى السوفييتى فى منطقة محدودة ، وانما كان الاستعداد قائما على اساس مواجهة الهجوم السوفييتى الشامل على الولايات المتحدة واوربا الغربية باستخدام القوة التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية . ولهذا فقد حاولت امريكا ، فى اول الحرب الكورية ، صد تقدم قوات كوريا الشمالية باستخدام القوة الجوية والبحرية وحدها ، الا ان الجنرال « ماك ارثر » قائد القوات الامريكية فى الشرق الاقصى ، أعلن أن كوريا ستضيع مالم تستخدم القوات البحرية لصد جيش الشيوعيين . وادركت أمريكا انها مالم تقم بعمل ما فان سياسة كبح جماح التوسع السوفييتى سوف تفشل ، كما انه اذا استطلت كوريا الجنوبية فان هذا سيبين للعالم ان امريكا اما خائفة من القوة السوفييتية او انها غير معنية بسلامة حليفاتها ، الأمر الذى يؤدى الى انفراط عقد التحالف الغربى وعزل الولايات المتحدة .

وقد قررت الأمم المتحدة تشكيل قوة دولية برية للدفاع عن كوريا الجنوبية نظرا لان المنظمة الدولية كانت تبدى عطفا خاصا تجاه الدولة الوليدة التى قامت بناء على انتخابات حرة اشرفت عليها الامم المتحدة . ونزلت قوات الامم المتحدة المشتركة على أرض كوريا الجنوبية وأخذت تارة تتقدم نحو خط عرض ٣٨° ، وتتراجع عنه تارة اخرى تحت ضغط الشيوعيين الكوريين الذين كان يساعدهم متطوعون من الصين الشعبية . ثم استقرت قوات الامم المتحدة آخر الامر عند هذا الخط فى مارس عام ١٩٥١ . وهنا واجهت امريكا تلك المشكلة : هل تعمل على اعادة توحيد كوريا بالقوة العسكرية او تقبل تقسيم كوريا ؟

أصر ماك آرثر — الذى كان يتولى منصب القائد الاعلى لقوات الامم المتحدة المشتركة — على أن الهدف السياسي للحرب الكورية

هو انشاء دولة كورية موحدة ، وان عدم تحقيق هذا الهدف يعد خيانة لما تعهدت به أمريكا للكوريين . كما انه سيشجع الصينيين على شن مزيد من العدوان . بل لقد رأى ماك آرثر وجوب تقليم اظافر الصين التى تحولت الى دولة عدوانية توسعية وبمعنى آخر أراد ماك آرثر احداث تغيير فى الصورة الاستراتيجية للشرق الاقصى فى الوقت الذى مازالت أمريكا تحوز فيه تفوقا على روسيا التى لم تحقق بعد قوة ذرية وصناعية تمكنها من الوقوف أمام قوة أمريكا .

ولكن حكومة ترومان رفضت مقترحات ماك آرثر باعتبارها تنطوى على مخاطر كبيرة . اذ انه يخشى أن يؤدى ضرب الصين بالقنابل والحاق الهزيمة بها الى نشوب حرب عالمية ثالثة لأن الصين تعتبر الحليف الرئيسي لروسيا . كما ان الاتحاد السوفييتى وقع معاهدة مع الصين الشعبية فى فبراير عام ١٩٥٠ التزم فيها بأن يهب لمساعدة الصين اذا ما تعرضت للهجوم من جانب اليابان او اية دولة اخرى ترتبط باليابان (وهى اشارة واضحة الى الولايات المتحدة) وعلى فرض أن الاتحاد السوفييتى لن يتدخل فان الولايات لايمكنها توسيع نطاق الحرب لان قيام الصينيين بشن حرب فى كوريا من شأنه ان يستنزف طاقة الولايات المتحدة ويجعل من المستحيل انشاء دفاع عسكرى قوى فى أوربا مما يعرض أوربا للهجوم من جانب الجيوش السوفييتية .

ولهذا فانه يجب على أمريكا أن تدخر قوتها لكى تستخدمها ضد عدوها الرئيسي ، وهو الاتحاد السوفييتى . وباختصار ، رأت الحكومة الامريكية أن الاستراتيجية التى يتبعها ماك آرثر سوف تقحم الولايات المتحدة فى حرب لاتريدها ، وفى مكان ووقت غير مناسبين ومع غير العدو المقصود . وشاركت بريطانيا وفرنسا الحكومة الامريكية فى هذا الموقف . وهكذا رفضت الهيئة الامريكية المشتركة

لرؤساء اركان الحرب مقترحات ماك آرثر ، واتضح ان من الحكمة انهاء الحرب في المكان الذي بدأت فيه .

الا ان ماك آرثر رفض ان يرجع عن تنفيذ الاستراتيجية التي وضعها وأن يكتفي بحصر نطاق الحرب في شبه جزيرة كوريا . وكانت وجهة نظره هي انه اذا كانت الولايات المتحدة تحرز فعلا قوة ذرية متفوقة فان الاتحاد السوفييتي لن يشعل نيران حرب عالمية لمجرد أن الطائرات الصينية ضربت المدن الصينية بالقنابل . واتهم ماك آرثر الحكومة الامريكية بانها تفصل بين تفكيرها النظري وبين التطبيق العملي ، فهي من الناحية النظرية تقرر ان القيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية لديها القوة الرادعة التي تمنع الاتحاد السوفييتي من شن حرب شاملة ، ولكنها من الناحية العملية تتصرف على افتراض ان الروس لايعيرون اهمية تذكر للقوات الاستراتيجية الامريكية الضاربة .

حاول ماك آرثر دون جدوى اقناع ترومان والهيئة المشتركة لرؤساء اركان الحرب برفع القيود المفروضة عليه ، وحينئذ تخطى ترومان وهيئة اركان الحرب ولجأ الى الحزب المعارض ليناشده العمل على تغيير السياسة الخارجية التي تتبعها . وكان رد ترومان على ذلك هو عزل ماك آرثر .

رد الفعل المضاد لسياسة كبح الجماح :

وقد قوبل عزل ماك آرثر بعاصفة من الاستنكار في انحاء الولايات المتحدة وعم السخط على ترومان واتشيسون ، وزير الخارجية ، وكان ذلك بمثابة انعكاس لاستياء الشعب الامريكي من سياسة كبح الجماح التي تتبعها حكومة ترومان ، والتي تتناقض من الناحيتين النفسية والعاطفية مع القيم والتجارب الامريكية في ميدان الشئون الخارجية ، ذلك لان هذه السياسة ستجعل أمريكا واقعة

بصفة دائمة فى دوامة الشئون الخارجية ، فى حين يريد الشعب ان يعود للعناية بشئونه الداخلية ــ كما انها لن تمكن الولايات المتحدة من تكريس قوتها الضخمة للقيام بعمل عسكرى سريع « لمعاقبة » العدو الذى اجبرها على تحويل اهتماماتها عن شئونها الداخلية الملحة . ذلك لان الحكومة الامريكية لم يكن هدفها تدمير روسيا والدول التى تدور فى فلكها ، وانما كان هدفها الوحيد هو ايجاد توازن للقوى يكفل كبح جماح اية محاولات سوفييتية جديدة للتوسع، لتحقيق التعايش السلمى ، بدلا من العمل على انهاء التهديد الى الأبد .

وقد ادى الفشل المتوالى الذى واجهته الولايات المتحدة وخاصة ما يتعلق بالصين ، الى جعل سلسلة كبح الجماح امرا لا يمكن تحمله .

فقد كانت الولايات المتحدة ، منذ مطلع القرن الحالى ، تعتبر نفسها حامية للصين وناقلة التراث الحضارى الغربى اليها ، لأن الصين كانت سوقا ضخمة للمنتجات الامريكيه .

ولهذا فقد أصيبت أمريكا بصدمه شديدة حينما انهار حكم «كاى شيك» عام ١٩٤٩ واستولى الشيوعيون على «الصين الأم» واخذوا يكيلون الاتهامات للولايات المتحدة بانها العدو اللدود للشعب الصينى وانها دولة استعمارية فاسدة تعتبر مركزا للرجعية فى العالم . وان الهزيمة ستلحق بها فى النهاية فكان انهيار آمال امريكا فى ان تجعل من الصين دوله ديمقراطية حليفة يعتمد عليها فى الشرق الاقصى بمثابة ضربة موجهة الى الشعب الامريكى .

ومما زاد من الشعور بالقلق وعدم الامن الناجمين عن تلك الهزائم وقوع حادثين هما : تفجير روسيا لقنبلتها الذرية الأولى واكتشاف أن روسيا تواصل التجسس فى الاوساط الامريكية العليا

وقد نتج عن قيام الحرب الكورية ودخل الصين أن ازداد الشعور بعدم الرضاء عن السياسة الامريكية . وأخذ الشعب يطالب بأن تتبع أمريكا سياسة التشدد مع العدو لكى تسترد كرامتها وهيبتها وتنهى الحرب الكورية ، كما أخذ الشعب يطالب بالتخفيف من انشغال امريكا المستمر بالشئون الخارجية والعمل على خفض مصروفات الحكومة .

الباب الخامس

استراتيجية حافة الحرب

ايزنهاور وتحرير الشعوب :

استغل الجمهوريون بمهارة فى اثناء حملة الانتخابات الرياسية عام ١٩٥٢ استياء الشعب الامريكى من سياسه كبح الجماح ويرجع هذا الاستياء الى توهم الشعب بأن أمريكا قادرة على كل شيء . واخذ الجمهوريون يعلنون ان عدم الامن القائم فى امريكا بصورة خطيرة ، واقحام أمريكا فى الحرب الكورية . انما جاء نتيجة للاخطاء الشنيعه « التى ارتكبها روزفلت وترومان فى مؤتمرات طهران ويالتا وبوتسدام مع السوفييت » .

ففى هذه المؤتمرات مهد الزعماء الديمقراطيون للتوسع الشيوعى بعد الحرب : بأن باعوا اوربا الشرقيه لسوفييت . وخانوا « شيانج كاى شيك » وبمعنى آخر كانت جراح امريكا بفعل يديها هى .

كما اتهم الجمهوريون الديمقراطيين بأنهم اتبعوا سياسة خارجية انهزامية وانهم ـ اى الديمقراطيين ـ اخذوا يروجون للادعاء الكاذب بأن امريكا قوتها محدودة ، وجعلوا امريكا تلتزم بتعايش سلمى دائم وتظل مشغولة بالشئون الخارجية بصفة

مستمرة . واعلن جون فوستر دالاس (١) كبير المتحدثين باسم الحزب الجمهوري في الشئون الخارجيه في ذلك الوقت ، ان سياسة كبح الجماح كانت سياسة سلبية لانها اسلمت زمام المبادرة للعدو . وهي لم تكن تفعل اكثر من القيام بعمل مضاد في مواجهة الخطر الشيوعي في الوقت والمكان اللذين يختارهما العدو لشن هجومه . وهي سياسة باهظة التكاليف يمكنها ان تؤدي الى املاس البلاد ، بل ان هذه السياسة لم تكن تهدف الا الى الابقاء على الاوضاع القائمة واكد « دالاس » ان السياسه يجب الا يكون هدفها التعايش الى مالانهاية مع التهديد الشيوعي . وانما العمل على استئصال هذا التهديد .

وقال « دالاس » ان الشيوعيين يكسبون الحرب الباردة لانهم يربطون هذه الحرب بالافكار الاجتماعية التي تستثير الانسانية في كل مكان في حين ان الولايات المتحدة تفقد هذه الحرب لانها تتبع سياسة مادية قائمة على الاحصائيات الجامدة . وانه لتغيير هذا الوضع يجب على امريكا ان تؤكد من جديد رسالتها الانسانية التقليدية وان تجعل من نفسها بلدا يتمثل فيه تطلع العالم الى الحرية ، اي ان « دالاس » دعا الى ان تتبع امريكا سياسة تجعل الولايات المتحدة من جديد مصدر امل للشعوب المستعبدة المتطلعة الى الاستقلال ومصدر يأس للمعتدين . ودعا الى ان تعلن امريكا انها لن تكون طرفا في اي اتفاق من شأنه ان يؤكد سيطرة الاتحاد السوفييتي على شعوب الدول التي تدور في فلكه . فهذا من شأنه ان يعطي هذه الشعوب الأمل ويشجعها على رفض الحكم السوفيتي مما يؤدي الى انهيار الامبراطورية السوفييتية آخر الامر وتحرر الشعوب المستعبدة ، فيضطر الاتحاد السوفييتي الى التراجع ويسود السلام العالم من جديد ويصبح مهيئا لتحقيق الديمقراطية .

---

(١) دالاس : تولى منصب وزير الخارجيه بعد ذلك في حكومة ايزنهاور .

وهكذا نجد ان الجمهوريين اخذوا يتعهدون ، ليس فقط العمل على انهاء الحرب الباردة وانما ان يتم ذلك بأقل التكاليف . وذلك بأن يحققوا في وقت واحد اجبار الدول السوفييتية على التراجع وخفض اعتمادات الدفاع الامريكية وذلك بوضع استراتيجيه هجومية وميزانية متوازنة وخفض الضرائب .

ولكن هذه الاهداف لم تكن غير منسجمه بعضها مع بعض فحسب ، وانما كان من المحال تحقيقها لان اعلان امريكا مساندتها لتحرر الشعوب المستعبده لن يحرر اية دولة تدور في فلك روسيا الا انه يبدو ان الجمهوريين لم يكن يعنيهم حقا تحقيق هذا الهدف لان سياسة تحرير الشعوب هذه كانت تستهدف اساسا حمل الديمقراطيين — وليس الجيش الاحمر في أوربا الشرقيه — على التراجع .

وكانت الدعوة لتحرير الشعوب المستعبدة بمثابة العلاج الذى اعطاه الجمهوريون لشعب يرفض قبول حقيقة ان امريكا قوتها محدودة في العالم ، ويرفض اي تغيير في نظرته التقليدية للسياسة الخارجية . اى ان هذه الدعوة كانت مجرد كلام نظرى والا كان معناها ان تتعرض امريكا لخوض حرب شاملة ضد الاتحاد السوفيتي لو كانت جادة فعلا في العمل على تحرير الشعوب المستعبدة . وقد اتضح ذلك حينما قامت الثورة المعادية للشيوعية في المانيا الشرقية في يونيو عام ١٩٥٣ وحينما قامت الثورة الوطنية في المجر في اواخر عام ١٩٥٦ . اذ لم تعمل امريكا في كلتا الحالتين اكثر من التنديد بالاتحاد السوفييتي واظهار عطفها على ضحايا الاستبداد السوفييتي ، بل لقد أكدت امريكا لروسيا انها لا تعتزم التدخل في المجر . وبذلك عمدت امريكا الى اتباع سياسة تأكيد الأمر الواقع وتحولت سياسة تحرير الشعوب الى سياسة « كبح الجماح » من جديد .

الا أن حكومة الجمهوريين اونت ، مع ذلك ، بوعودها المتعلقة بدعم المركز العسكري والاقتصادي للبلاد ، فاتخذت ثلاثة اجراءات : أولها انهاء الحرب الكورية مما ادى الى خفض عدد القوات العاملة وتوفير نفقات القوات المحاربة في كوريا . والاجراء الثاني هو العمل على رسم خط واضح يحدد الكتلة السوفييتية الصينية ، وكان الديمقراطيون قد رسموا هذا الخط وجعلوه يمتد من النرويج الى تركيا ، فجاء الجمهوريون ليعملوا على تقوية هذا الخط وجعله يمتد الى الشرقين الاوسط والاقصى . والاجراء الثالث هو العمل من أجل حماية هذا الخط الذي يحيط بالكتلة الشيوعية ، وذلك باستخدام القوة الرادعة القتالية الجوية الاستراتيجية بحيث يدرك السوفييت والصينيون انهم اذا عبروا هذا الخط فانهم اسما يجازفون بحرب شاملة مع الولايات المتحدة .

وهكذا اتبعت حكومة الجمهوريين سياسة «الانتقام الشامل» ورفضت فكرة «الحروب المحدودة» «أو انصاف الحروب» وبخاصة ان السبب الرئيسي في نجاح الجمهوريين في الوصول الى الحكم عام ١٩٥٢ هو استياء الشعب الامريكي من الحرب الكورية ورغبته في عدم قيام « حروب كورية » اخرى .

وقد رأى «دالاس» ان الوسيلة الوحيدة الفعالة لمنع المعتدى من القيام بالعدوان هي تحذيره من ان اعتداءه سيعرضه لضربات شاملة تجعل المكاسب التي ينالها من وراء عدوانه تتضاءل أمام العقاب الذي سيلحق به . وكان « دالاس » يعتقد اعتقادا قويا بان كوريا ما كانت لتتعرض للغزو لو ان الشيوعيين ادركوا ان هجومهم سيقابل بتوجيه ضربات انتقامية جوية على موسكو . واعتقد الجمهوريون أنه بذهاب الولايات المتحدة الى «حافة الحرب» فانها ستتمكن من منع تكرار ماحدث في كوريا . وقد عرفت هذه السياسة فيما بعد بسياسة « حافة الحرب » ورأى الجمهوريون

ان يحاولوا تطبيقها لاول مرة فى سعيهم لتحقيق وقف اطلاق النار فى كوريا .

انهاء الحرب الكورية :

بدأت مفاوضات الهدنة الكورية فى صيف عام ١٩٥١ ولكن المحادثات توقفت بسبب الخلاف حول مسألة اسرى الحرب ، فقد رفض ٤٦ الف من الاسرى الصينيين والكوريين الشماليين العودة الى اوطانهم ورفضت امريكا اجبارهم على ذلك .

ولما تولت حكومة ايزنهاور الحكم فى يناير عام ١٩٥٣ اتخذت اجراءين فى محاولة لانهاء الحرب الكورية : اولا : قيامها باطلاق فرموزة من عقالها . ذلك لانه فى عهد ترومان كان الجيش السابع الامريكى يرابط فى مضايق فرموزة لمنع فرموزة او الصين من أن تهاجم احداهما الاخرى ، واعتقد آيزنهاور ان الصين ستضطر بذلك الى سحب بعض قواتها من كوريا لمواجهة احتمال تعرضها للهجوم من جانب فرموزة بتأييد من امريكا .

ثانيا : قررت حكومة ايزنهاور انه فى حالة فشل جهودها لتحقيق الهدنة فانها سوف تضرب القواعد الصينية ومراكز الامدادات فى منشوريا والصين بالقنابل وتفرض حصارا على سواحل الصين الام . وربما تستخدم الاسلحة الذرية التكتيكية فى ذلك ، وابلغت الصين بقرارها هذا بطريق غير مباشر وفى يونيو عام ١٩٥٣ استؤنفت المفاوضات .

وفى أواخر يوليو كانت اتفاقية الهدنة الكورية قد ابرمت . وقد عزز ذلك من اعتقاد « دالاس » بجدوى توجيه الانذار مقدما مع التهديد فى الوقت نفسه بالعقاب الشديد .

وقد وقعت أمريكا ، بعد ذلك ، معاهدة امن متبادل مع كوريا الجنوبية كاجراء تقصد به ردع العدو عن شن أى هجوم آخر .

واصبح خط ٣٨° شمالا جزءا من الخط الفاصل بين الكتلتين الشيوعية وغير الشيوعيه . وسبق توقيع هذه المعاهدة صدور اعلان وقعت عليه الدول الخمس عشرة التى حاربت فى كوريا ضمن قوات الأمم المتحدة ، وحذر الاعلان الصين الشيوعية من انه فى حاله تجدد العدوان فربما يصبح من المحال حصر القتال داخل كوريا .

حرب الهند الصينية وحلف جنوب شرقى آسيا :

رفضت فرنسا الاستجابة لمطالب الاستقلال التى اخذت تعلنها الحركات الوطنية القومية في المستعمرات بعد الحرب العالمية الثانية ، ويرجع ذلك الى ان الاستعمار الفرنسي كان يعمل على اذابة شعوب المستعمرات فى فرنسا . ولهذا فقد حاولت فرنسا ان تقمع حركة « فيتمنه » الوطنيه القومية فى الهند الصينية مما ادى الى نشوب الحرب الاهلية هناك عام ١٩٤٦ واصبح الشيوعيون تحت زعامة « هوشي منه » هم الممثلين للاتجاه الوطنى فى الهند الصينية وحينئذ عملت فرنسا على التقدم بتنازلات للحركة الوطنية، فاعلنت قيام دولة فيتنام تحت حكم الامبراطور « باوداى » واعلنت ان كمبوديا ولاوس اصبحتا دولتين داخل الاتحاد الفرنسي ، ولكن الوقت كان متأخرا ، وازدادت الحرب الاهلية شدة ، وكان الراى العام الامريكي لا يبدى اى عطف تجاه محاولات فرنسا فرض سيطرتها الاستعمارية على الهند الصينية ، ولكن هزيمة «كاى شيك» وقيام الحرب الكورية جعلت امريكا تتدخل فى الهند الصينية وتساند فرنسا ، حتى لقد اخذت امريكا تدفع نحو ٧٥ فى المائة من نفقات الحرب هناك . واعلن آيزنهاور ــ ودلاس ، ان الهند الصينية اصبحت ذات اهمية استراتيجية بالنسبة لأمن امريكا . وحذر الصين من التدخل هناك سواء بطريق مباشر او غير مباشر وهددتها بالانتقام الشامل . ولكن اتضح بعد ذلك ان تهديدات امريكا كانت

جوماء . فحكومة ايزنهاور على الرغم من اعترافها بالاهمية الحيوية للهند الصينية لم تكن ترغب فى اقحام الولايات المتحدة فى « حرب كورية أخرى » وبجانب هذا كانت الحكومة الامريكية تقوم فى ذلك الوقت بخفض عدد القوات العاملة ولم يكن لديها فرق تكفى للقتال فى الهند الصينية .

وبالاضافة الى ذلك . تجاهلت الصـــين تهديدات امريكا ورفضت أن تصدق ان امريكا يمكنها ان تخاطر بالدخول فى حرب شاملة بسبب الهند الصينية ، كما سبق أن رفضت روسيا ان تصدق أن امريكا يمكنها أن تخاطر بالدخول فى حرب شاملة بسبب كوريا ، لاعتقاد روسيا والصين بأن امريكا لاتفعل ذلك الا فى حالة تعرض اوربا او الولايات المتحدة للهجوم الشامل . واخذت الصين تقدم المساعدات المتزايدة الى حركة « فيتمنه » .

وفى ١٣ من مارس عام ١٩٥٤ شنت قوات « فيتمنة » هجوما على قلعة « ديان بين فو » الفرنسية فى فيتنام الشمالية . واصبح مركز فرنسا فى فيتنام الشمالية مهددا فجأة بالزوال ولم يكن لينقذ فرنسا هناك سوى التدخل العسكرى الامريكى .

وهكذا وجدت أمريكا نفسها تواجه للمرة الثانية تلك المشكلة الخطيرة . اما الا تفعل شيئا او ان تخاطر بالدخول فى حرب شاملة، ذلك لأن حكومة ايزنهاور كانت تشارك حكومة ترومان السابقة فى الخوف من أن يؤدى الهجوم على الصين الى التعجيل بتدخل الروس .

وقد أوضحت تجربة الحرب الكورية ان سياسة كبح الجماح لا يمكن أن تنجح دون وجود رغبة ومقدرة على خوض حرب محدودة . ولكن أمريكا تجاهلت درس الحرب الكورية وأخذت تقنع نفسها بأن الحرب الكورية ما كانت لتقع لو ان انذارا وجه بأن اى هجوم

على كوريا الجنوبية سيواجه بضربات انتقامية ، الا ان الوضع في الهند الصينية أثبت ان التهديدات وحدها لاتكفي ، وأن من الضروري تعزيزها بالرغبة والمقدرة على انزال القوات الامريكية البرية للقتال . والا فان امريكا ستجد نفسها تفقد منطقة بعد اخرى حيث يستطيع الشيوعيون ان يغيروا من ميزان القوى في العالم بالتدريج دون ان يواجهوا الولايات المتحدة بالتحدى الذى « يستحق » من وجهة نظر امريكا الدخول في حرب شاملة وهو النوع الوحيد من الحروب الذى كانت أمريكا مستعدة له .

وفي مواجهة هذا العجز من جانب امريكا لجأت الحكومة الفرنسية الى التفاوض مع الشيوعيين مباشرة من اجل انهاء الحرب، فقد كان الشعب الفرنسي منهكا من الحرب في الهند الصينية مثلما كان الشعب الامريكي منهكا من الحرب في كوريا ، وفي ٢٠ من يوليو عام ١٩٥٤ وقعت اتفاقية الهدنة ، وهي تقضي بتقسيم فيتنام الى قسمين عند خط عرض ١٧° شمالا ، واصبح الشيوعيون يسيطرون على فيتنام الشماليه التى صارت تدعى « فيتمنة » ، كما اصبح الخط الفاصل بين دولتى فيتنام يشكل جزءا من الحدود الفاصلة بين العالمين الشيوعي وغير الشيوعي .

ورأت امريكا انه ، بانهيار مركز فرنسا في الهند الصينية وتزايد التهديد الصيني ، اصبح من الضرورى من الخط الفاصل بين العالمين الشيوعي وغير الشيوعي الى داخل آسيا . وفي سبتمبر عام ١٩٥٤ وقعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلنده والفيلبين وباكستان وتايلاند على معاهدة حلف جنوب شرقي آسيا التي تقضي بالدفاع عن منطقة جنوب شرقي آسيا باستثناء هونج كونج وفورموزه ، وتم التوقيع على بروتوكول آخر يقضي بادخال فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا داخل نطاق المنطقة التي يتولى الحلف حمايتها . وقد الحقت أمريكا باتفاقية

الحلف تحفظا خاصا يقضي بالا يستخدم الحلف الا في مواجهه العدوان الشيوعي وحده ، وان يجرى التشاور بين الدول فى حالة وقــوع اى هجوم من نوع آخر على احدى دول الحلف ، وكان قصد أمريكا من ذلك هو ان تؤكد للهند انها لن تؤيد باكستان اذا ما نشبت الحرب بين البلدين . ذلك لان هدف باكستان من انضمامها الى الحلف هو تقوية نفسها ضد الهند .

مضايق فرموزه والجزر القريبة من ساحل الصين :

لم تكد ازمة الهند الصينية تمر حتى نشبت ازمة جديدة فى مضايق فرموزه . ففى صيف عام ١٩٥٤ أعلنت الصين الشيوعية عزمها على الاستيلاء على فرموزه . واخذت تضرب بمدافعها جزر كيموى وماتسو وتاتش التابعة لفرموزه ، وهى قريبة من الســاحل الصينى .

وفى ديسمبر من العام نفسه وقعت امريكا مع فورموزه معاهده أمن متبادل تقضي بأن تضمن الولايات المتحدة سلامة فورموزه وجزر بسكادور القريبة منها ، كما تعهدت فورموزه بعدم مهاجمة الصــين الأم او تعزيز حامياتها الساحلية دون موافقة الولايات المتحــدة . وهكذا عادت أمريكا لدعم مركز « كاى شيك » مرة اخرى . الا ان الدفاع من الجزر القريبة من الساحل الصينى لم يدخل ضــمن هذه الاتفاقية ، ومع ذلك فقد اكد ايزنهاور لشيانج كاى شيك ، بصفة شخصية ، ان الولايات المتحدة سوف تدافع عن جزيرتى كيموى وماتسو .

وفى الوقت نفسه اعلن وزير خارجية الصين الشعبية ان الصين ستستخدم كل قواتها للاستيلاء على فورموزه ، وانها سوف تستخدم الجزر المواجهة للساحل الصــينى كوسيلة لتحقيق هذا الهدف . ولكن الصينيين الشيوعيين امتنعوا عن شن اى هجوم

على كيموي وملتسو اعتقادا منهم ان الولايات المتحدة سوف تستخدم حينئذ قواتها المسلحة دفاعا عن الجزر الساحلية .

وفي اغسطس عام ١٩٥٨ ظهر موقف الولايات المتحدة حينما بدأ الشيوعيون يقصفون الجزر الساحلية بمدافعهم قصفا عنيفا . وحينئذ استعرض الاسطول السابع الامريكي قوته لاظهار استعداده لتأمين الحماية اللازمة للجزر الساحلية بالتعاون مع قوات فورموزه. وقامت قوات مشاة الأسطول الامريكية بنقل المدافع القادرة على اطلاق القذائف الذرية من أوكيناوا الى كيموي ، لمواجهة اى غزو للجزر الساحلية وبذلك امكن منع الغزو باستخدام هذه الوسائل الرادعة ورفضت امريكا بعد ذلك دعوة كاى شيك لها لغزو الصين الام ، لانها ادركت ان مطالب فورموزه لاعادة الاستيلاء على الصين هو تفكير خرافي . واصبحت سياسة امريكا في مضايق فرموزه هي الابقاء على الاوضاع القائمة كما هي ، وبذلك حلت سياسة «كبح الجماح» من جديد محل سياسة تحرير الشعوب المستعبدة . وفي ذلك الوقت تحول اهتمام الشيوعيين تجاه الشرق الاوسط .

الشرق الاوسط والسويس :

أتمت الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ رسم الخط الفاصل بين المعسكر السوفييتي الصيني والمعسكر الغربي ، وذلك بتبنيها انشاء حلف بغداد بين : بريطانيا وتركيا وايران والعراق وباكستان ، وبذلك امتد الخط الفاصل بين دول حلف الاطلنطي والمعسكر الشيوعي من تركيا الى الهند . وقد أحدث ذلك رد فعل عنيف من جانب روسيا. وعلى الرغم من ان روسيا كانت قد ارغمت على الانسحاب من ايران عام ١٩٤٦ فانها لم تتخل عن اطماعها في هذه المنطقة الحيوية . وبالنسبة لبريطانيا فقد كانت في الماضي تعتبر المنطقة ، وخاصة قناة السويس ، حيوية لامبراطوريتها ، كما أنها تعتبرها حيوية.

للكومنولث في الوقت الحاضر . وبدون مرور الشرق الاوسط ستتعرض أوربا للانهيار . ماذا تمكنت روسيا من السيطرة على هذه المنطقة فان أوربا سوف تصاب بالشلل . وباختصار كان الشرق الاوسط هو الوسيلة التي يتمكن الاتحاد السوفييتي بوساطتها من ثني جناح حلف الاطلنطي واحداث تصدع فيه ، وكانت الفرصه متاحة امام الاتحاد السوفييتي ، ليحقق هذا الهدف . بسبب النزاع العربي الاسرائيلي المرير والنزاع المصري الانجليزي .

وكانت بريطانيا قد تعهدت عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين التي كانت واقعة تحت الانتداب البريطاني .

وفي نوفمبر عام ١٩٤٧ قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين احداهما عربيه والاخرى يهودية ، ولكن العرب رفضوا هذا الحل ، وفي مايو عام ١٩٤٨ انهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وفي اليوم نفسه أعلن اليهود قيام دولة اسرائيل . ودخلت الجيوش العربية فلسطين ، وقد رفض العرب الاعتراف باسرائيل او عقد صلح معها ، وهم يعلنون اليوم عزمهم على تدمير اسرائيل وتطلعهم ليوم الانتقام . كما يرفض العرب السماح لليهود بالمرور في قناة السويس واغلقوا في وجهها خليج العقبه .

وبالنسبة لمصر اضطرت بريطانيا عام ١٩٥٤ لتوقيع معاهدة للجلاء عن السويس خلال ٢٠ شهرا ، وكانت الولايات المتحدة قد ايدت مصر في مطالبتها بانسحاب القوات البريطانية . وبذلك انتهى تاثير بريطانيا في السياسة المصرية ، وحولت بريطانيا اهتمامها من مصر الى العراق فانضمت الى حلف بغداد لحماية مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية الحيوية في المنطقه . وقد اعتبر العرب قيام حلف بغداد وسيلة للابقاء على السيطرة الغربية على المنطقة واستخدام الدول العربية كادوات لتحقيق أهداف الغرب . وفي الوقت نفسه سبب التعاون المصري السوفييتي انزعاجا لدى اسرائيل

وبريطانيا وبخاصة بعد ان وقعت مصر ، فى سبتمبر عام ١٩٥٥ : صفقة لشراء الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا .

وفى ١٩ من يوليه عام ١٩٥٦ سحبت امريكا عرضها لتمويل السد العالى وكان « دلاس » يعتقد ان سحب امريكا لهذا العرض سوف يحقق غرضين ، أحدهما انه سيدفع روسيا الى خوض غمار التنافس ضد أمريكا فى مساعدة الدول النامية ، مما سيكشف عن ان الجهود التى تبذلها روسيا فى ميدان المعونة هى من قبيل الدعاية ، لاعتقاد « دلاس » بعجز روسيا اقتصاديا عن الوفاء بوعودها .

والغرض الآخر هو اعطاء الدول الحيادية درسا فى انهـــا لا تستطيع الاعتماد على المعونة الامريكية لتحقيق التنمية الاقتصادية فيها اذا كان هذا الحياد موجها ضد امريكا .

وفى ٢٦ من يوليو عام ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس لاستخدام عائداتها فى بناء السد العالى ، وبذلك وقعت نتيجة العمل الذى قـــام به « دلاس » ليس فقط على رأس امريكا . وانما ايضـــا على رءوس حلفائها وبخاصـــة بريطانيا التى انزعجت وخشيت ان تؤدى هذه الخطوة من عبد الناصر الى اضعاف نفوذ الغرب فى الشرق الاوسط وبخاصة بريطانيا التى تحتل مركز الصدارة فيما يتعلق بالنفوذ الغربى فى المنطقة . واعتقدت بريطانيا أن مصر سوف تســـتخدم القناة كأداة سياسية ، مع ان مصر اعلنت انها لن تمنع اية سفن من المرور فى القناة فيما عدا سفن اسرائيل .

وتطورت الأزمة حتى وقع الهجـــوم الاسرائيلى على مصر فى العام نفسه . وبعد مضى ٢٤ ســاعة على بدء الهجوم الاسرائيلى تدخلت بريطانيا وفرنسا . ولكن أمريكا اعترضت على استخدام القوة ضد مصر . فعلى الرغم من اعتراض أمريكا على سياســـة الرئيس عبد الناصر فانها نظرت الى سياسته الخارجية باعتبارها

رد فعل ضد اسرائيل والاستعمار العربي ، ورات امريكا ان الهجوم الذى تعرضت له مصر هو بمثابة فرصة ذهبية لكسب صداقة مصر والعرب واظهار امريكا انها ليست مواليه لليهوديه كما يعتقد العرب ، ولكنها بمكنها ان تصبح موالية للعرب وان تساير الاتجاه المعادى للاستعمار فى جميع الدول النامية ، وان تساير بصفة خاصة المشاعر المعادية لاسرائيل والمشاعر الوطنية فى العالم العربى . ولما تيقنت روسيا ان امريكا لن تؤيد الهجوم البريطانى الفرنسي بعثت بمذكرتين لبريطانيا وفرنسا تهددهما باحتمال تعرضهما للضرب بالصواريخ اذا لم تنسحبا من مصر ، كما هددت روسيا اسرائيل بان وجودها سيتعرض للزوال ، وطلبت روسيا من امريكا ان تنضم اليها فى بذل الجهود لوقف القتال .

وقد اسفرت حرب السويس عن انهيار نفوذ بريطانيا فى الشرق الأوسط ودعم القومية العربية .

واول خطوة اتخذتها الولايات المتحدة ، بعد ازمة السويس ، هى وضع مبدأ ايزنهاور فى ربيع عام ١٩٥٧ الذى يعلن ان الولايات المتحدة تعتبر استقلال ووحدة اراضي دول الشرق الاوسط امرا حيويا لسلامة امريكا ، وانها مستعدة لاستخدام القوة المسلحة لمساعدة اية دولة ، او دول ، تطلب المساعدة ضد العدوان المسلح من جانب اية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية . وكان من الصعب معرفة ما يعنيه هذا المبدأ ، فروسيا نفسها لاتجاور الا دولة عربية واحدة هى العراق التى كانت مرتبطة بحلف بغداد وبحلف الاطلنطى ايضا عن طريق ارتباطها بتركيا وبريطانيا .

كما ان امريكا لم تنظر الى علاقة مصر بالاتحاد السوفيتي على انها ستحول مصر الى دولة خاضعة للشيوعية والا لكانت قد ايدت الهجوم على مصر فى حرب السويس .

ولهذا لا يمكن ان يكون مبدأ ايزنهاور موجها ضد روسيا .
ونظرا للجهود المستحدثة ، التي بذلها الرئيس عبد الناصر لتقويض نفوذ الغرب في الشرق الاوسط ، فقد لجأت امريكا الى تعديل سياستها واعادة تفسير مبدأ ايزنهاور . وبذلك اصبح لفظ « العدوان المسلح » لا يقصد به فقط العدوان المباشر من دولة على اخرى وانما يقصد به ايضا المحاولات التى تبذل لقلب المحاولات الموالية للغرب عن طريق الثورات الداخلية المؤيدة من الخارج . ولفظ « اية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية » اصبح يسرى على الدول ذات العلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفييتى .

وقد طبق مبدأ ايزنهاور لأول مرة فى الأردن حينما تدخلت امريكا لانقاذ عرش « حسين » من السقوط فى مواجهة المظاهرات الوطنية التى اجتاحت الأردن ، فاستخدمت الأسطول السادس فى الضغط ، بأن نقلت بعض وحداته الى شرق البحر الابيض المتوسط ، ومنحت الاردن عشرة ملايين من الدولارات لدعم جيشها واقتصادها .

وبقيام ثورة العراق فى الرابع عشر من تموز (يوليه) عام ١٩٥٨ ومسارعة الجمهورية العربية المتحدة بالاعتراف بحكومة الثورة وعقد اتفاق عسكرى معها ، بدا أن القومية العربية تكتسح كل شيء أمامها ، وان كل مركز الغرب فى منطقة الشرق الاوسط على وشك الانحلال . حينئذ بدأت امريكا تلجأ الى القوة ، وقام الأردن ولبنان فى ذلك الوقت بتطبيق مبدأ ايزنهاور ، وطلبا المساعدة العسكرية لمواجهة خطر الثورة العراقية وبخاصة ان لبنان تجتاحه الحرب الاهلية ، والأردن يتطور الموقف داخله من سيىء الى أسوأ .

فارسلت بريطانيا قوات المظلات الى الأردن ، وارسلت الولايات المتحدة ١٤ الفا من مشاة البحرية الى لبنان . وكان المقصود بارسال هذا العدد الضخم من القوات الامريكية الى لبنان هو تحذير حكومة

العراق من تنميم الموارد البترولية الغربية . وقسد سسارع قائم باعطاء تأكيد بأنه ليست لديه هذه النية .

وبعد قيام الثورة العراقية بعدة اشهر خرج العراق من حلف بغداد الذى اصبح يعرف باسم « منظمة الحلف المركزى » وانضمت امريكا بعد ذلك الى اللجنة الاقتصاديه واللجنة العسكرية ولجنه مقاومه النشاط الهدام التابعة للحلف ، بالاضافة الى ارتباط امريكا باتفاقيات ثنائية دفاعية مع ايران وتركيا وباكستان الاعضاء فى الحلف .

اتحاد اوربا الغربية والسوق المشتركة :

رفضت فرنسا فى اغسطس عام ١٩٥٤ التوقيع على اتفاقيه منظمه الدفاع الاوربى مما تضى بصورة مفاجئة على اساس الاستراتيجية الخاصة بحلف الاطلنطى وفكرة الاندماج الاوربى . ذلك لان منظمة الدفاع الاوربى كانت الوسيلة التى تكفل تزويد حلف الاطلنطى بقوات من المانيا الغربية من اجل تقوية خط الدفاع الاوربى على الارض .

ويرجع رفض فرنسا التوقيع على الاتفاقية الى خشيتها من أن تؤدى اعادة تسليح المانيا الى ان تصبح المانيا اقوى من فرنسا ذاتها مما يتيح لها السيطرة على القارة الاوربيه . كما ان منظمه الدفاع الاوربى سستكون بمثابة خطوة نحو الاندماج فى اوربا . وهذا من شأنه ان يفصل فرنسا عن مستعمراتها فيما وراء البحار .

ورأت بريطانيا ، لحل مشكلة اعادة تسليح المانيا ، ان يعاد تعديل الاتفاقية بحيث تضم ايضا ايطاليا والمانيا ، واصبح التحالف الجديد باسم « اتحاد اوربا الغربيه » وبمقتضاه تتعهد الدول الأعضاء بعضها البعض اذا ما تعرضت احداها للهجوم .

والواقع ان اتحاد اوربا الغربية كان مجرد وسيلة لضم قوات المانيا الى حلف الاطلنطى وفرض قيود على المانيا بالاتصنع اية اسلحة ذرية كيماوية او بيولوجية ، او صــــواريخ بعيدة المدى ، او سفنا حربيةضخمة او انواعا معينة من القنابل والطائرات القاذفة للقنابل ، وبذلك اطمأنت فرنسا الى انها لن تترك يوما لتواجه وحدها القوات الالمانية .

وقد اصبح اتحاد اوربا الغربية قائما بصفة رسمية فى مايو عام ١٩٥٥ وبذلك دخلت جمهورية المانيا الاتحادية حلف الاطلنطى عن طريق اتحاد أوربا الغربية الذى يضم بريطانيا وفرنســـا والمانيا الاتحادية وبلجيكا وهولنده وايطاليا ولوكسمبورج .

وفى أول يونيه عام ١٩٥٨ خطت دول اتحاد اوربا الغربية ، فيما عدا بريطانيا ، خطوة ضـــخمة من أجل تحقيق مزيد من الاندماج الاقتصادى والسياسى فى اوربا ، وذلك بان اعلنت الدول الســـت انشاء السوق الاوربية المشتركة التى تســـتهدف تحقيق الوحدة الاقتصادية بين هذه الدول ، وانشـــأت الدول الست ايضا هيئة اليوراتوم «أى المجمع الذرى لاوربا الغربية» للتعاون فيما بينها فى مجال تطوير وسائل استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية وحتى تقلل من اعتماد اوربا على بترول الشرق الاوسط .

ومع اهتمام بريطانيا الشديد بهذه التطورات فانها لم تنضم الى السوق الاوربية المشتركة او الى « اليوراتوم » لسببين رئيسيين هما : أولا ، روابطها الوثيقة بالكومنولث ، كما ان المصـــالح الدولية لبريطانيا تتعارض مع اندماجها فى اوربا.والآخر : رغبتها فى الابقاء على وضعها الخاص كاوثق حليف لامريكا . ومن الملاحظ ان المنظمات

الوحيدة التي انضمت اليها بريطانيا هي المنظمات التي ارتبطت فيها امريكا بالتزامات تجاه اوربا . وفي أواخر عام ١٩٥٩ انشأت بريطانيا منطقة التجارة الحرة الاوربية مع سبع دول لتواجه بها السوق الاوروبية المشتركة . وقد فشلت محاولات أمريكا لوقف الحرب الاقتصادية بين المجموعتين . وفي ذلك الوقت اخذت فرنسا تعلن عزمها على انشاء قوة ذرية خاصة بها حتى يكون لها صوت مساو لصوت بريطانيا في حلف الاطلنطي .

وقد سعت روسيا لتحطيم السوق الاوربية المشتركة لانها رات ان قيام « اوربا متحدة » يرفرف عليها الرخاء الاقتصادي وتتمتع بالاستقرار السياسي لن يقف فقط في وجه التوسع السوفيتي نحو غرب أوربا ، وانما سوف يهدد ايضا الوجود السوفيتي في اوربا الشرقية . وتلعب برلين الغربية دورا بارزا في هذا المضمار ، اذ ان وجودها داخل اراضي المانيا الشرقية يجعل الاندماج الكامل لالمانيا الشرقية في المعسكر الشيوعي امرا مستحيلا ، وهذا بدوره يؤثر في الاستقرار السياسي لأوربا الشرقية كلها .

وبذلك اصبح استقرار مركز الاتحاد السوفييتي في شرق ووسط اوربا يعتمد على عاملين : اولا الظفر باعتراف الغرب بالمانيا الشرقية . والآخر انسحاب الغرب من برلين الغربية وتحويلها الى مدينة حرة على ان يجرى ضمها بعد ذلك الى المانيا الشرقية عن طريق الضغط على اهالي برلين الغربية .

ولتحقيق هذا الهدف اعلن الاتحاد السوفيتي في نوفمبر عام ١٩٥٨ انه يعتزم انهاء الاحتلال الرباعي لبرلين بعد ستة أشهر - وان يسلم الى المانيا الشرقية السلطة في برلين الشرقية والاشراف على الممرات المؤدية الى برلين الغربية .

فاذا ما تمكن الاتحاد السوفييتي من طرد الدول الغربية ، وخاصة الولايات المتحدة ، من برلين فانه سيتمكن بذلك من تمزيق حلف الاطلنطي ووقف نمو السوق الاوربية المشتركة قبل ان يستفحل خطرها . فكان الانذار السوفيتي بمثابة تصميد ماهر جعل الولايات المتحدة تواجه احد امرين : اما ان تسلم برلين الغربية او ان تخوض حربا شاملة للدفاع عنها . وبمعنى آخر كانت ازمة برلين اخطر تحد واجهته السياسة الخارجية الامريكية في فترة ما بعد الحرب .

الباب السادس

(برلين وأزمة الانتقام الشامل)

الردع المتبادل والانتحار :

لا توجد سياسة يمكن اعتبارها سياسه امريكيه محضة مثل سياسة الانتقام الشامل التي وضعت لردع المعسكر الشيوعي . وذلك بمد خط حول الاتحاد السوفيتي والصين . والتهديد بتدمير موسكو او بيكين اذا ما قام الروس . أو الصينيون بعبور هذا الخط. ومن نواحي القصور في استراتيجية الانتقام الشامل انها لا تتيح للقوة العسكرية الامريكية أن تستخدم الا في حالة وقوع هجوم سوفييتي .

وبذلك نجد ان الدبلوماسية الامريكيه لا تستند الى القوة اللازمة لحمل السوفييت على اعطاء أيه تنازلات في المفاوضات التي تجرى لتسوية الخلافات الاساسية بين البلدين ، لان السوفييت يدركون هذا التصور في الاستراتيجيه العسكرية الامريكيه ويستغلونه . ولم يعد السوفييت في حاجة للتوصل الى حلول وسط مع الغرب بشان المشكلات القائمة بين الجانبين مادامت امريكا لاتعتزم خوض حرب شاملة الا اذا تعرض امنها لخطر حقيقي .

وقد نشأ عن ذلك موقف متناقض فأمريكا على الرغم من انها ظلت جيلا كاملا تحتكر القوة الذرية وتتفوق في وسائل حمل القنابل

الذرية والهيدروجينية فانها لم تتمكن من استخدام تفوقها هـذا في احداث تغيير يلائم مصلحتها في بعض مشكلات الحرب الباردة ، مثل مسالة تقسيم المانيا ، بل انهـا لم تردع السـوفييت عن القيام بالتوسع ، مستخدمين وسائل لا تبرر الحرب الشاملة ، كشن حروب العصابات وتدبير الانقلابات ، وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للغرب .

وهكذا ثبت ، من الأزمات التى تواجهها الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٥ ، ان القوة الجوية الاسـتراتيجية التى تعتبر اداة لاستراتيجية الانتقام الشامل ، عديمة الجدوى ، فهى لم تتمكن من ردع الاتحاد السوفييتى ومنعه من التوسع ولم يحدث ان استخدمت الولايات المتحدة استراتيجية الانتقام الشامل فى اية من تلك الازمات لانه لا حكومة ترومان ولا حكومة ايزنهاور ابدت رغبتها فى اى وقت فى اشعال نيران حرب ذرية شاملة . ومما اكد عدم جدوى هـذه الاستراتيجية أن الاتحاد السوفيتى احرز فى خلال السنوات الاخيرة تقدما فى زيادة ما هو مخزون لديه من الاسلحه الذرية التى يمكنها ضرب الاهداف فوق اراضي امريكا . ولم يعد اى من الجانبين يجرؤ على مهاجمة الطرف الآخر .

استراتيجية الانتقام الشامل وحلف الاطلنطى

رأت امريكا ان من الضرورى ايجاد قوة مدرعة ضخمة فى اوربا تتبع حلف الاطلنطى لتقوم بعمليات محدودة لاتصل الى الحرب الشاملة ، وبذلك يمكن رد الاتحاد السوفييتى ومنعه من شن الهجمات المحلية المحدوده . الا ان امريكا وبريطانيا وفرنسا والمانيا كانت قد خفضت من عدد قواتها الجوية الى حد كبير ، فتقرر ان تزود القوات المتبقية فى حلف الاطلنطى بالاسلحة الذرية التكتيكية لسد النقص فى عدد القوات . الا ان احتلال السوفييت لمثل هذه الاسلحة يؤكد ان استخدامها سيكون متبادلا ، ومن ثم فان استخدام حلف الاطلنطى

للاسلحة الذرية التكتيكية ، كبديل للتخفيضات التى اجريت من عدد القوات ، اصبح امرا مشكوكا فيه .

التراجع فى برلين .

كانت مسالة برلين ادن ، كما قال الفرنسيون - بمثابه ازمة ثقة داخل حلف الاطلنطى ، فقد كانت حكومة ايزنهاور ، على مايبدو ، ترفض استخدام اية وسيلة لحماية برلين الغربية فيما عدا التلويح بقوة القيادة الجوية الاستراتيجية ، فقد كانت مقتنعة جدا بان التهديد باطلاق قوة القيادة الجوية الاستراتيجيه من عقالها سوف يردع الاتحاد السوفييتي ويمنعه من القيام باية اعمال فى برلين ، لدرجه انها استبعدت احتمال وقوع حرب برية فى اوربا ورفضت اجراء تعبئة جزئيه او تعزيز القوات البريه لحلف الاطلنطى ، بل انها على العكس من ذلك قامت بخفض قوات الجيش ومشاة الاسطول . وقد اكد اديناور فى ذلك الوقت انه يجب على الغرب ان يتمسك بحقوقه والتزاماته فى برلين وحذر من ان اى اظهار لضعف الغرب فى برلين ستنتج عنه سلسلة من الاحداث التى تجر الخراب على اوروبا كلها . اذ سيؤدى ذلك الى حل الروابط بين المانيا واوربا الغربية ، وحل حلف الاطلنطى ، وسيطرة الاتحاد السوفييتي على اوربا .

وعارضت المانيا وفرنسا المباحث مع الاتحاد السوفييتي بشأن برلين ومشكلات المانيا بصفة عامة ، فى حين كانت بريطانيا تلح فى المطالبة باجراء هذه المحادثات لان سياسه « الانتقام الشامل » الامريكية ستقع عواقبها على البريطانيين . وقد ظلت بريطانيا تشعر لعدة سنوات بان السياسة الامريكية تتسم بالتصلب والاستعلاء . وابدى البريطانيون استعدادا اكثر من امريكا للتقرب من الروس فى محاولة للتفاوض معهم بشان المسائل التى ادت لزيادة حدة الحرب الباردة ورات بريطانيا انها ، لكى تدعم مركزها فى حلف الاطلنطى ،

عليها أن تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب . والواقع ان أمريكا أخذت تقترب تدريجيا من الموقف الاكثر مرونة الذى وقفته بريطانيا .
واخذت الولايات المتحدة تسعى للتخلص من العواقب التى جرتها عليها استراتيجية « الانتقام الشامل » وراحت تتقـــدم التنازلات السوفييت ، فبعد ان وجهت روسيا انذارها بشـــأن برلين اعلن « دلاس » ان أمريكا مستعدة للموافقة على وضع ممثلين من المانيا الشرقية فى مراكز التفتيش التى فى المـــمرات المؤدية الى برلين باعتبارهم وكلاء عن السوفييت . كما أعلن « دلاس » ان اعـــادة توحيد المانيا يمكن ان يتم بطرق اخرى غير اجراء انتخابات حرة فى المانيا ، وبذلك تخلت امريكا عن الموقف الذى التزمته طويلا بشـــأن اعادة توحيد المانيا من طريق الانتخابات الحرة . ووافقت أمريكا ، تحت ضغط بريطانيا ، على دعوة روسيا لعقد مؤتمر لوزارة خارجية الدول الكبرى للتمهيد لعقد مؤتمر الاقطاب فى باريس . وفى مؤتمر وزراء الخارجية تمسك الاتحاد السوفييتى بموقفه بشأن برلين ، فى حين تقدم الغرب بعدة تنازلات . فقد أذنت الولايات المتحدة لوفد يمثل المانيا الشرقية بحضور المحادثات ، وبذلك تراجعت بريطانيا والولايات المتحدة رغبة منهما فى حل أزمة برلين دون قيام حرب . وكان ذلك بمثابة خطوة نحو الاعتراف بالمانيا الشرقية على اساس الامر الواقع .
وزيادة على ذلك تخلى الغرب عن مشروعه الخاص باعادة توحيد المانيا عند ظهور اول بادرة على اعتراض الاتحاد السوفييتى على هذا المشروع . ورفض السوفييت ان يجددوا تأييدهم لحقوق الحلفاء الغربيين فى برلين ، واكدوا اعتزامهم انهاء نظام الاحتلال . وفى الواقع لقد كان الغرب يرغب فى تعديل موقفه فى برلين والتقـــدم بتنازلات لعقد تسوية مؤقتة بشأن برلين مقابل ســـحب الاتحـــاد السوفييتى لتهديده المتعلق ببرلين الغربية : وهكذا اضطرت أمريكا وبريطانيا الى اذلال نفسيهما من اجل الخروج من مشكلة « الانتحار او الاستسلام » التى أوجدتها الاستراتيجية الامريكية .

وقد ادى موقف المتصلب من جانب خروشـــوف الى احداث انقسامات داخل الغرب ، وكلما تشدد خروشوف واحد بهدد ارتفعت الاصوات في الدول الغربية تطالب بالمرونة وبذل جهود جديدة للتفاهم مع الاتحاد السوفييتي بشأن المشكلة الالمانية كلها . واخذ الاتحاد السوفييتي يحاول اقناع الراى العام الغربي بان اسباب التوتر الدولي الخطيرة ، ترجع الى موقف زعماء غربيين معينين ، وان من الواجب تغيير تلك السياسات العالية والخطيرة من اجل تخفيف حدة التوتر . واخذت بريطانيا ، وبخاصة صحفها ، تتهم اديناور بالتصلب في موقفه في حين اخذ الالمان يتهمون بريطانيا بالتساهل . كما فترت العلاقات بين المانيا وفرنسا الى حد كبير ، وبخاصة بعد رفض فرنسا انضمام بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة ، الا بناء على شروطها هي . واظهر ديجول واديناور شكوكهما في اسلوب الليونة الذي تتبعه امريكا وخاصة بعد ان دعا ايزنهاور خروشوف لزيارة امريكا . وقد توصل ايزنهاور وخروشوف في هذا الاجتماع الى اتفاق يقضي بان تسحب روسيا تهديدها بالقيام بعمل انفرادي في برلين مقابل موافقة امريكا على بحث مشكلات برلين والمانيا في مؤتمر قمة بين الدول الكبرى . الا ان مؤتمر الاقطاب الذي عقد في باريس في مايو عام ١٩٦٠ نسف في اول جلسة له ، كنتيجة لحادث اسقاط طائرة التجسس الامريكية « ى — ٢ » وهي تحلق فوق الاراضي السوفييتية ، فقد شن خروشوف هجوما عنيفا على ايزنهاور في هذه الجلسة وطلب منه أن يعتذر عن هذا الحادث وعن حوادث التجسس السابقة التي قامت بها طائرات « ى — ٢ » فوق الاراضي السوفييتية ، وان يوقع العقاب على المسئولين عن هذه الاعمال . وكان ايزنهاور قد انكر ، حين اسقاط الطائرة ، انها كانت تتجسس ، ولكنه عاد فاعترف بانها كانت مكلفة بالتجسس والتقاط صور لمناطق الحدود السوفييتية . وقال : ان امريكا ستواصل اعمال التجسس هذه حتى تحول دون تعرضها للهجوم المفاجيء .

فالولايات المتحدة بعدم رفضها للمقترحات السوفييتية والطريقة التى جعلت بها موقفها فى برلين موضوعا للتفاوض ، والاسلوب الذى اتبعته للتراجع دبلوماسيا ، والتنازلات التى قدمتها باسم المرونة ، كل هذا قد دل على افتقارها لقوة الارادة ، الامر الذى جعل مستقبل الغرب يبدو قلقا . وقد اكد « دين اتشيسون » وزير الخارجية الامريكية السابق ، ان اى اتفاق يعقد مع الروس بشأن مستقبل برلين سوف يفتح الباب امام استيلاء الشيوعيين عليها ، وقال : ان من السهل استخدام لفظ التفاوض للتغطية على الهزيمة . واكد ان قوة امريكا فى اوربا هى المعرضة للخطر فى برلين .

ثغرة الصواريخ

يقصد « بثغرة الصواريخ » احتمال تفوق الاتحاد السوفييتى فى ميدان الصواريخ الموجهه العابرة للقارات فى الفترة ما بين عامى ١٩٦١ و ١٩٦٥ وهو التفوق الذى لن يؤدى فقط الى شل القيادة الاستراتيجية عن العمل ، وانما يهدد بقاءها نفسه . وقد اعلن « نيل مكلروى » وزير الدفاع الامريكى ، عام ١٩٥٩ انه فى عام ١٩٦١ ستكون نسبة تفوق الاتحاد السوفييتى على الولايات المتحده فى امتلاك الصواريخ الموجهة العابرة للقارات هى ٣ : ١ اى ان روسيا سيكون لديها ستمائة صاروخ فى حين سيكون لدى امريكا مائتا صاروخ من طراز « اطلس » وطراز « تيتان » ، واثبتت تقارير وكالة المخابرات الامريكية ان ثغرة الصواريخ هذه آخذة فى الاتساع ، وان الاعتماد على معدل الانتاج الحالى للصواريخ الامريكية سيزيد الثغرة اتساعا . ولكن الولايات المتحدة قررت الا تعمل على سد ثغرة الصواريخ هذه قبل ان تتوصل الى صنع الصواريخ التى تعمل بالوقود الصلب . فالصواريخ التى تعمل بالوقود السائل تحتاج الى وقت طويل حين اطلاقها ، كما انها توضع فى قواعد ثابتة معروفة مما يعرضها للهجوم المفاجىء ، مثلها فى ذلك مثل الطائرات التابعة

للقيادة الجوية الاستراتيجية التي أصبحت معرضة للضرب وهي فوق الارض ؛ اما الصواريخ التي تعمل بالوقود الصلب مثل صواريخ « مينيتمان » فانها عمليه أكثر من الناحية العسكرية ، ويمكن اطلاقها في ثوان معدودة لانها تعمل بالوقود الصلب كما يمكن نقلها بسهولة الى أماكن مختلفة بل تزويد الغواصات بها : مثل صواريخ « بولاريس » المتوسطة المدى . وقد بدأت الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ في انتاج صواريخ الوقود الصلب على نطاق واسع لسد « ثغرة الصواريخ » ووضعت الاعتمادات لصنع ١٢ غواصة تعمل بالطاقة الذرية ، واكدت أمريكا أن قوتها الذرية الكاملة سوف تسد هذه الثغرة سدا تاما وتظل تردع الاتحاد السوفييتي .

وقد أعرب قادة القوات المسلحة الامريكية عن عدم ارتياحهم لهذا الوضع . لان الصواريخ الموجهة العابرة للقارات قد جعلت القوة القائمة للقيادة البحرية الاستراتيجية عديمة الجدوى الى حد كبير .

وعلى الرغم من أن انتاج الصواريخ العابرة للقارات قد جعل الهجوم المفاجيء يكاد يكون بلا فائدة بالنسبة للمعتدى . فان ماحدث هو ان هذه الصواريخ قد قللت فقط من احتمال وقوع الهجوم المفاجيء دون أن تقضي على هذا الاحتمال قضاء تاما . كما انه اذا ما اتسعت ثغرة الصواريخ . أو طور الاتحاد السوفييتي صواريخه وزاد من فاعليتها ودقتها فان هذا سوف يزيد من احتمال قيام روسيا بشن مثل هذا الهجوم المفاجيء ، ونجاحها في ضرب القواعد الارضية للقيادة الجوية الاستراتيجية .

فغواصات (بولاريس الذرية) قد تكون اذن هي الوسيلة الاخيرة التي تلجأ اليها امريكا لسد ثغرة الصواريخ ودعم القوة الرادعة للولايات المتحدة . فهذه الغواصات الضخمة يمكنها حمل ١٦ صاروخا من طراز « بولاريس » وقد يمكن الاعتماد عليها في أن تحل

محل القيادة الجوية الاستراتيجيه بطائراتها القاذفه للقنبل . فغواصات « بولاريس » تضع تحت الماء قوة امريكا القادرة على الانتقام الشامل ولا يمكن ضربها الا اذا حدث ذلك مصادفة . وربما تؤدى تلك الغواصات الى تحويل جانب كبير من الهجوم الذرى السوفييتى على الاراضي الامريكية الى البحر . كما انها ستوجد تعقيدات كبيرة امام مشكلة الدفاع السوفييتى . وتعتزم الحكومه الامريكية بناء ٤٠ من هذه الغواصات لكى تستخدم عشر غواصات منها فى القيام بعمليات دورية مستمرة فى مواجهة ساحل اوراسيا لتوجيه ضربات مميته الى كل المدن السوفييتية التى تأوى كل منها اكثر من ٧٥ الف نسمة .

الا ان قوة غواصات « بولاريس » لم تكن لتستطيع ان تلعب دورا رادعا كبيرا قبل منتصف عام ١٩٦٠ وهنا نشأت مشكلة . اذ ما النتائج التى سوف تترتب على افتقار امريكا لقوة دفاعية من الصواريخ الموجهة وتضاؤل قيمة التفوق الذى تحرزه امريكا فى ميدان الطائرات القاذفة للقنابل ؟ وما العواقب السياسيه التى تترتب على امتلاك الاتحاد السوفييتى لقوة صاروخية متفوقة يمكنها تحطيم الطائرات الامريكية القاذفة للقنابل قبل ان تصل الى اهدافها ؟

ان الرد على هذا السؤال ينقسم الى ثلاثه اجزاء : ــ

اولا ـ ان التفوق الذى احرزته روسيا فى ميدان الصواريخ ، وما اعقب ذلك من تفوقها فى ميدان الاقمار الصناعيه واكتشاف الفضاء الخارجى قد قضى على نفوذ امريكا واثار قلق حلفائها بشأن مقدرة امريكا الدفاعية . وفى الوقت نفسه اوجدت انتصارات روسيا الضخمة فى ميدان الفضاء شعورا قويا بالثقة لدى الزعماء السوفييت مما قد يغريهم بمهاجمة الولايات المتحدة وتدميرها مرة واحدة .

ثانيا ــ والخطر الثاني يكمن في أنه اذا لم يوجه السوفييت ضربتهم النهائيه فانهم قد يحاولون استغلال تفوقهم واستغلال التهديد بشن هجمات شامله من جانب الروس والصينيين بقصد الضغط على الغرب لتحقيق أهداف محدودة دون حاجة لخوض حرب فعلية . وهذا التهديد الذرى قد يدفع بالعالم الى خوض حرب عالمية ثالثه اذا ما اخطأت روسيا في تقرير مدى جدية تهديدات أمريكا بالانتقام الشامل .

ثالثا ــ والخطر الثالث سوف ينشأ اذا ما قام السوفييت والصينيون باشعال حروب محدوده في المناطق التي يجب على امريكا أن تستخدم فيها قوات برية اذا ما ارادت كبح جماح التوسع الشيوعي ، وسوف تضطر امريكا حينئذ الى التراجع ، بصورة مطردة من المناطق التي كانت تعتبرها حيوية بالنسبة لسلامة امريكا، ذلك لأنها لن تستطيع الالتجاء الى الانتقام الشامل في مواجهة تلك التحديات المحدودة . وستكون نتيجة ذلك أن تفقد امريكا حلفاءها واصدقاءها من الدول المحايدة التي ستحاول ضمان مستقبلها بالتوصل الى اتفاق مع روسيا والصين وتصبح امريكا حينئذ معزولة .

ويمكن تجنب ذلك بان تعد امريكا وحلفاؤها قوات برية صحيحة مهيأة لخوض الحروب المحدودة ، وان تكفل وسائل نقلها الى مناطق الاضطراب في خلال ساعات محدودة من بدء العدوان لأن الاسلحة الذرية التكتيكية لا يمكنها أن تعوض عن نقص عدد القوات. فهذه الاسلحة لن تستخدم الا اذا استخدمها العدو . كما انه ليس هناك بلد يرغب في ان تستخدم الاسلحة الذرية في الدفاع عنه ، لان معنى ذلك تدمير هذا البلد في سبيل انقاذه من الشيوعية .

وان امتلاك الغرب لتلك القوات المجهزة لخوض الحروب المحلية المحدودة سيكون افضل ضمان لعدم نشوب تلك الحروب .

الباب السابع

« الدول المتخلفة وكفاح أمريكا من اجل البقاء »

مشكلات الدول المتخلفة :

كتب (جي بوكر) عالم الاقتصاد السياسي ، يقول : انه توجد الآن اربعة مراكز للقوة ، او فيها امكانيات القوة في العالم ، وهي الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتي ، واوربا الغربية ، والصين الشيوعية . فالانتاج في المناطق الاربع يتزايد ، كما ان النظام السياسي في كل منها يساعد على عمليات الاندماج داخلها . فهذه المناطق يحتمل ان تصبح في مركز يمكنها من القيام بدور ضخم في الشئون السياسية والاقتصادية والثقافية الدولية في خلال الجيل القادم (يقصد جيل الستينيات) وعلى العكس من ذلك فاننا نجد ان مناطق الشرق الاوسط وجنوب شرقي آسيا وافريقية الاستوائية وامريكا اللاتينية معرضة لان تظل في فراغ خال من القوة في خلال هذه الفترة ، بسبب افتقار هذه المناطق للاستقرار السياسي ، وبسبب الركود الاقتصادي وافتقارها لعوامل الوحدة والانسجام الثقافي (1) .

---

(1) يغفل المؤلف هنا تيار القومية العربية الجارف وتوافر عوامل الوحدة والانسجام الثقافي في الدول العربية .

وهذا الفراغ يعد خطيرا لان الشـــــيوعية ستحاول الزحف لشغله ، وتبذل روسيا والصين فعلا الجهود فى هذا السبيل ولذا فانه يجب على الولايات المتحدة أن تسارع الى ان يكون لها مركز السبق ، وأن تضع السياسة التى تمكنها من ايجاد مراكز قوة فى الدول المتخلفة فى آسيا والشرق الاوسط وافريقية .

وهذه الدول ، فيما عدا دول أمريكا اللاتينيه قد بدات تتخلص من الاستعمار الغربى منذ الحرب العالمية الثانية . كما ان مايسير شعوب تلك الدول ـ التي تشكل ثلثي تعداد سكان العالم ـ الفقر الشديد والأمية وسوء التغذية . فالتنمية الاقتصادية هى اذن الوسيلة الرئيسية لمواجهة هذه الاحوال السيئة . ولكن هل هذه الدول فى مركز يمكنها من ان تتقدم بوساطة مواردها الخاصة ؟ ان الرد يعتمد على : هل التقدم الاقتصادي لهذه الدول سيكون اسرع من نمو السكان فيها ، او ان انفجار السكان سوف يلتهم اية زيادة فى الدخل القومى ؟ . لقد اتضح ان الزيادة فى عدد السكان فى هذه الدول سوف يجعل المستوى باقيا على حالته فى افضل الظروف وأن ينخفض فى الحالات السيئة .

وبذلك نجد ان هذه الدول ستصبح امام مشكلة الجوع والفقر المدقع بصفة دائمة ما دام السكان فيها يتزايدون بسرعة تفوق سرعة ارتفاع مستوى المعيشة . ولسوء الحظ ان الظروف التى تواجه الدول المتخلفة مختلفة اختلافا تماما عن الظروف التي مر بها الغرب فى بداية تطوره ونموه ، ومن بين هذه الاسباب ان الغرب كان عدد سكانه صغيرا حينما بدا حركة التصنيع ، وان الزيادة فى السكان لم تسبق النمو الاقتصادى فى حين نجد الهند مثلا قد بدات ثورتها الصناعية وعدد سكانها اربعمائة مليون نسمة . ومن المتوقع ان يتضاعف هذا العدد فى خلال الثلاثين عاما القادمة ، كما ان الدول الغربية كانت تعتمد على مستعمراتها فى تصريف الزيادة فى السكان .

وقد هاجر نحو ٦٠ مليون أوربي فى خلال القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، كما ان هذه المستعمرات زودت دول الغرب بالمواد الخام والايدى العاملة الرخيصة وبالاسواق لتصريف منتجاتها ، ولولا ذلك لكانت دول الغرب تعيش اليوم فى مثل الاحوال التى تعيش فيها الدول المتخلفة .

وفى الدول غير الصناعية ما زالت اغلبية السكان تعيش على الزراعة البدائية . وزيادة على ذلك فانه لاتوجد مساحات من الاراضى تكفى لتحقيق اى مشروع كبير للتوسع الزراعي .

والواقع انه لايمكن تحقيق الآمال المتزايدة للكتل البشريه التى هبت فجأة تطالب بأن تعيش حياة افضل ، وان تأكل كميات اكبر من الطعام . مالم يتم خفض معدل الزيادة فى المواليد . ذلك لأن ضغط الزيادة فى السكان يجعل الجماهير تعيش فى حالة تقرب من الكفاف ، وان انتشار الفقر على هذه الصورة يجعل من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، توفير رءوس الاموال اللازمة لتحقيق التنمية الصناعية ، اذ لا يمكن حمل الجماهير التى تعيش على الكفاف على ادخار المال لتوفير مبالغ كافية . ولا يمكن ايضا توفير رءوس الاموال عن طريق التجارة ، لأن المناطق المتخلفة لاتصدر الى الخارج الا المواد الخام او المواد الاولية ، مما يحد من قدرة هذه المناطق على الكسب لان تلك الصادرات تزيد وتقل تبعا لمدى الرخاء لدى الغرب . ففى فترة الكساد الاقتصادى التى مر بها الغرب عام ١٩٥٧ــ ١٩٥٨ قل طلب المواد الاولية وانخفض سعرها مما الحق خسارة جسيمة بالدول المتخلفة .

والاستثمارات الاجنبية هى المصدر الثالث لتوفير رءوس الاموال اللازمة للتنمية الصناعية . فاذا لم تتوافر رءوس الاموال هذه فان اقتصاديات الدول المتخلفه ستستمر فى الركود ، وقد تنخفض عن المستوى اللازم لتوفير القوت الضرورى . مما يفتح الطريق امام

استغلال الشيوعية لهذا الوضع . وحينئذ تتعرض بلاد الحلقة الشرقية واوراسيا وافريقية للغزو من الداخل ، ومن ثم ستعرض اوربا الغربية نفسها ، وهى شبه جزيرة مكملة لقارة اوراسيا . للخطر الشيوعى . وبذلك تصبح الولايات المتحدة معزولة استراتيجيا وتفقد امريكا العالم . وهى غائبة عن الميدان دون اطلاق رصاصة واحدة . كل هذا قد يحدث اذا ما كانت استجابة امريكا للتحديات القائمة فى الدول المتخلفة استجابة غير كافية .

مشروع مارشال للتنمية الاقتصادية :

ان اية سياسة تتبعها امريكا نحو الدول المتخلفة يجب ان تبدا بالاعتراف بان مستقبل هذه الدول يلعب دورا هاما فى الابقاء على كيان امريكا ذاتها ، ورات امريكا انه يجب عدم السماح للهوة القائمة بين الدول الغنية والفقيرة أن تزداد اتساعا ، وان يعاد تقسيم الثروة فى العالم .

وقد انضح فساد نظرية التطور التى وضعها « داروين » فيما ذكرته هذه النظرية عن « الصراع من اجل البقاء » والبقاء للأصلح . وقد قام « هربرت سبنسر » بتعديل هذه الفلسفة . مطلق عليها اسم « الداروينية » الاجتماعية . وقال ان الاغنياء نالوا الثروة لأن نجاحهم فى الصراع التنافسي قد بين انهم الاكثر صلاحيه . وعلى العكس فان الفقراء وصلوا الى حالتهم هذه لانهم لم يصلحوا .

ولكن اتباع الفلسفة « الداروينية » الاجتماعية لم يسألوا انفسهم : هل قد اتيحت لكل شخص فى هذا الصراع فرص متساوية ؟ ولكن « الداروينيين » لم تكن لتعنيهم هذه الناحية اطلاقا . وهكذا ادت تلك التبريرات الفلسفية الى ازدياد الاغنياء غنى وازدياد الفقراء فقرا ان لم يؤد بهم الفقر الى الموت .

وقد اخذت المجتمعات الغربية الحديثة ترفض هذه الفلسفة اذ كيف يمكن تبرير الحكم على الناس بالفقر والبؤس مدى الحياة بغض النظر عن مدى الجهد والمشقة التى يبذلونها فى العمل . كما ان هذا التقسيم يدل على قصر النظر من الناحية السياسية ، والغباوة من الناحية الاقتصادية ، فمن الناحية السياسية نجد أن تقسيم الناس الى محظوظين ومعدمين لن يؤدى الا الى الثورة ، اذ تقوم الطبقات العاملة بقلب البورجوازيين . ومن الناحية الاقتصادية نجد ان سياسة اعتصار العمال من اجل تحقيق اكبر ربح ممكن تعد سياسة غير سليمة ، لأنه كلما قلت الاموال التى لدى الناس ضعفت قدرتهم الشرائية ، اذن فالعدالة الاجتماعية هى افضل وسيلة من النواحى الاخلاقية والسياسية والاقتصادية .

وفى اواخر القرن التاسع عشر بدات الحكومات تتدخل لتعديل هذا الوضع وسن القوانين التى تكفل تحسين احوال العمال وتحقيق العدالة الاجتماعية . ولكن مشكلة التفاوت بين الفقير والغنى اخذت تنشأ بين الدول نفسها . فهناك الدول الغنية التى تزداد غنى والدول الفقيرة التى تزداد فقرا . فهل نجد اذن ان كهانة « ماركس » فى ان طبقة البروليتاريا التى تعانى من الاستغلال سوف تقلب البورجوازية ؟ هل نجد ان هذه الكهانة التى هزمت فى داخل الدول الاوربية ستعود الى الظهور فى المجال الدولى وتلحق بالغرب الهزيمة ، فتثور الدول الفقيرة التى تمثل « البروليتاريا » العالمية .

يحتمل ان يحدث ذلك مالم تقم الدول الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة ، بتطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية على نطاق عالمى ، وهو المبدأ الذى حقق نجاحا كبيرا فى داخل الدول الغربية ذاتها ان ذلك يقتضي وضع مشروع طويل الاجل وبذل الجهود الكبيرة لجعل المستوى الاقتصادى للدول المتخلفة يرتفع بصورة مستمرة الى ان تتمكن هذه الدول من الاعتماد على نفسها . ورأت الولايات المتحدة

انها اذا ارادت أن تضمن الابقاء على كيانها هي فان من الضروري ، الى اقصى حد ، وضع مشروع « مارشال » للدول المتخلفة . وقد اتضح من التقديرات التي وضعت ان الدول المتخلفة تحتاج كل سنة الى مبلغ يتردد بين مليارين وخمسمائة مليون دولار ، و ٣ مليارات وخمسمائة مليون دولار ، وتساهم منه الولايات المتحدة بمبلغ يتردد بين مليار وملیارين من الدولارات سنويا ، واتضح أن هذا سوف يكلف الولايات المتحدة ، كحد اقصى ، مبلغا يتردد بين ٨ و ١٠ مليارات من الدولار اذا ما كان المشروع سيغطى اربع او خمس سنوات .

فهذا المشروع من الناحية السياسية سوف يقف في وجه الشيوعية التي تحاول استغلال الجوع والبؤس المنتشرين بين هذه الشعوب التي تشكل ثلثي سكان العالم . ومن الناحية الاقتصادية سوف يوسع هذا المشروع من نطاق الاسواق التي تستوعب منتجات الدول الغربية . ويجب أن تكون السياسة المتبعة تجاه الدول المتخلفة قائمة على اسس أن هذه المعونة تمنح دون أية شروط سياسية . وكانت المعونة الامريكية تقدم عادة مع افتراض ان الدول التي تتلقاها يجب أن تربط نفسها بسياسة الحرب الباردة التي تتبعها الولايات المتحدة الا ان برنامج المعونة الاقتصادية لا يمكن ان يحقق اهدافه مالم تقتنع الدول التي تحصل على المعونة بتلك الاهداف التي يجب أن تتلاءم مع الاماني التي تتطلع اليها هذه الدول .

والاماني الأساسية للدول المتخلفة هي ان توجه اهتمامها وتكرس طاقاتها للشئون الداخلية ورفع مستواها المعيشي ودعم استقلالها والتقليل من الزج بها في الحرب الباردة ، ولهذا فانها تفضل ان تظل محايدة بين الغرب والكتلة الشيوعية . وان اية محاولات لاستخدام المعونة الامريكية ، كوسيلة لاجبار هذه الدول على الدخول في نظام التحالف الامريكي ، سوف تفشل وتعوق تحقيق الهدف الذي تسعى اليه امريكا وهو تحقيق التنمية في هذه الدول .

والدول المتخلفه بوقوفها موقف الحياد انما تفعل الشيء الذى فعلته امريكا فى الماضي . فبعد حصول امريكا على استقلالها ابتعدت عن الدخول فى أية احلاف وشغلت نفسها بالتطورات الداخلية فيها. وادركت انها ، باعتبارها دولة متخلفة . لن يكون لاستقلالها الذى حصلت عليه حديثا سوى قيمة ضئيلة مالم تحقق لنفسها القوة السياسية والاقتصادية . كما أنها ، وقد تخلصت من الاستعمار ، لم ترغب فى الارتباط من جديد بالدول الاوربيه حتى لا تتيح لها فرصة التدخل فى شئونها باعتبارها الطرف الاكثر ضعفا . كما ان ذلك من شأنه أن يقحم أمريكا فى المنازعات والحروب التى تخوضها لدول الاوربية ومعنى هذا أن تقيم امريكا فوق اراضيها منشآت عسكرية ضخمة تمتص راس المال الذى تعد فى امس الحاجة اليه من أجل نموها الاقتصادي فهذا هو تقريبا الوضع الذى تواجهه لدول المتخلفة فى الوقت الحاضر .

ولكن الدول المتخلفة تتوقع من امريكا مع ذلك ان تعمل على حفظ ميزان القوى فى العالم من أجل حماية استقلال هذه الدول اذا مارغبت امريكا فى الوقوف فى وجه مزيد من التوسع السوفييتى والصينى . وهكذا نجد أن سياسة عدم ربط الدول المتخلفة بالاحلاف ليست فقط سياسة حكيمة انما هى سياسة ضرورية من الناحيه السياسية لانه كلما زاد الضغط لاجبار الدول المتخلفة على التحالف مع الدول الغربية اشتدت مقاومة هذه الدول لانها ترى ان من الضرورى بقاءها غير مرتبطة بالغرب ووقوفها موقف الحياد .

وهناك نقطة أخرى يجب على امريكا ان تراعيها ، اذ بدون اسهام امريكا فى تحقيق التغير الاجتماعى من حياة سيطرة الاقطاع وراس المال الى حياة تسودها العدالة الاجتماعية . لن يمكن تحقيق النمو الاقتصادى وخاصة بعد ان دخلت الكتلة الشيوعية والاتحاد السوفييتى بوجه خاص فى ميدان المعونه الخارجية اذ اخذت تقدم

قروضا ضخمة للدول التى تتمتع بمركز هام من الناحيتين الجغرافية والسياسية ، وهذه المعونة تجعل للشيوعية جاذبية لان الروس بتقديمهم هذه المعونة لايحاولون اجبار الدول المتخلفة على الانحياز الى جانب ما فى الحرب الباردة . مما يعطي شعورا بأن الروس يحترمون حياد هذه الدول فى حين نجد ان الولايات المتحدة تحاول استخدام المعونة الاقتصادية كوسيلة لاجبار الدول المتخلفة على التخلى عن حيادها والتحالف مع أمريكا ومع الغرب ، مما جعل هذه الدول تخشي أن تكون السياسة الامريكية بمثابة شكل جديد للاستعمار تحاول فيه الولايات المتحدة استخدام هذه الدول . من طريق الاحلاف . كمخالب فى الحرب الباردة .

وهكذا نجد ان الشيوعية تصبح مغرية لانه فى الوقت الذى يبدو فيه ان امريكا تمنح المعونة فى تباطؤ . ولتحقيق غرض واحد سلبى ، هو وقف الشيوعية ، فان الاتحاد السوفييتي يقدم المعونة لتحقيق مهمة ايجابية وهى التنمية الاقتصادية فى الدول المتخلفة باسرع وقت ممكن وهو يضرب المثل بنفسه . اذ انه استطاع ان يصبح اقوى دولة صناعية فى العالم فى حين انه كان منذ ٤٠ سنه دولة متخلفة . والدول المتخلفة ترغب فى بناء كيانها الصناعى من خلال جيل واحد فى حين انها تنظر فترى ان التنمية الصناعية فى اوربا وأمريكا استغرقت عدة اجيال . وتريد روسيا من الدول المتخلفة ان تفكر فى أن امامها ان تختار بين طريقتين لتحقيق التنمية الاقتصادية . اما الوسيلة الديموقراطية او الوسيلة التوتاليترية (اى وسيلة احتكار السلطة الحاكمة لجميع موارد الدولة) فان فشلت الوسيلة الديموقراطية فى رفع المستوى الاقتصادى بالسرعة الكافية التى تكفل الاستجابة لآمال الجماهير . فانه يجب حينئذ اتباع الوسيلة الثانية . وهذا من شأنه ان يغرى بالتحول نحو الشيوعية مما سوف يخل بميزان القوى فى العالم الى حد خطير . ومما يزيد من هـذا

الاحتمال هو اصرار بعض الولايات الامريكية على اتباع سياسة التفرقة العنصرية . ونظرا لأن سكان العالم فى غالبيتهم العظمى من الملونين فانهم ينظرون الى هذه السياسة على انها اخلال بالمبادىء الديموقراطية المتمثلة فى الحرية والكرامة والانسانية . وباختصار فان سياسة التفرقة العنصرية هذه تساهم فى ابعاد الدول المتخلفة عن الغرب .

وهنا يجب على امريكا الا تكتفى باتباع سياسة معاديه للشيوعية وانما عليها ان تؤيد الآمال التى تتطلع اليها الحركات الوطنية الناشئة .

ان الولايات المتحدة لم تعد تستطيع ان تعتمد بصفة اساسيه على الناحية العسكرية فى كبح جماح الكتلة الصينية السوفييتية ذلك لأن الحرب الباردة فى المناطق المتخلفة هى اساسا صراع فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية . وانه مالم تلتزم الولايات المتحدة بتحقيق المبادىء التى تنادى بها فى داخل الولايات المتحدة نفسها، واذا ما فشلت فى محاولتها مساعدة المجتمعات الجديدة على انشاء حياة افضل فان الديموقراطية ستكون قد اخفقت فى مهمتها التاريخية . ومالم تتعلم الولايات المتحدة هذا الدرس المدنى على وجه السرعة ومالم تستجب له بفاعلية فانها سوف تفقد العالم دون ان تشعر ، اى « تفقده غيابيا » .

الباب الثامن

(تركة الخمسينات)

نواحى القصور فى الديموقراطية الامريكية

هل تستطيع الولايات المتحده ان تتخطى القيم والتجارب الخاصة بها ، وان تفعل ذلك بالسرعة الكافية ؟ ان هذه هى المسألة الشديدة الاهمية التى تواجه الولايات المتحدة فى جيل السبعينات ، وان الرد على هذا السؤال سوف تعتمد عليه ، ليس فقط سلامة امريكا والغرب ، وانما بقاء العالم غير الشيوعى كله .

ان الليبرالية الامريكية تواجه فى الواقع ثلاث مسائل تتطلب اجوبة سريعه وهذه المسائل هى :

هل ستظل الليبرالية تعتبر السلم والحرب مسألتين مختلفتين اختلافا تاما ؟ هل تتخلى عن فصلها بين القوه والدبلوماسية ؟ واخيرا هل تستطيع الليبرالية ان تفهم الثورات الاجتماعية التى تحدث فى كثير من الدول المتخلفة ؟

فى الواقع ان المعتقدات والتقاليد القديمة لا يمكن التخلى عنها بسهولة ولكن العالم لن يقف فى انتظار امريكا كى تعدل من موقفها . ان التقاليد الامريكية سوف تجرفها نحو الكارثة .

فالليبرالية لا يمكنها ان تظل تنظر الى القوة على انها شر ، لان

هذا الموقف قد ابعد أمريكا عن اتباع سياسة القوة في فترة السلم ، ولكن حينما تعرضت أمريكا للهجوم لجات الى استخدام القوة وكان هدفها هو القضاء على سياسة القوة الى الأبد ونشر الديمقراطية ، ولهذا فان سياسة كبح الجماح التي كانت تتبعها حكومة ترومان نالت سخط الشعب الامريكي ، لأن حكومة ترومان زجت بأمريكا في نزاع لم يتح للشعب الامريكي ان يعود للانشغال بشئونه الداخلية او أن يشن حربا شاملة للقضاء على الخطر الشيوعي واستئصال سياسة القوة الى الابد ، فقد كانت حكومة ترومان تتبع سياسة « لا حرب ولا سلام » . وقد استجابت حكومة ايزنهاور ، التي جاءت بعدها ، لرغبة الشعب في التخلي عن جانب من الالتزامات السياسية والاقتصادية ، وخفضت النفقات وخاصة النفقات الدفاعية .

وكان الطابع الذي ساد جيل الخمسينات هو طابع رغبة الشعب الامريكي في التهرب من المسئوليات الدولية لتحقيق وسائل الرفاهية والمتعة في الداخل وعدم الاهتمام بما يحدث في الخارج ؛ حتى انه حينما اطلقت روسيا أول قمر صناعي في الفضاء كانت شركة فورد موتور تعرض طرازا جديدا من السيارات من انتاجها .

وان الفصل ايضا بين القوة والدبلوماسية يضع العراقيل امام الولايات المتحدة في نضالها ضد روسيا والصين . وفي عصر التعادل الذري الذي نعيش فيه يجب على الولايات المتحدة ان تبحث عن وسيلة لاستخدام القوة بصورة تمكنها من تجنب الوقوع في مشكلة « الانتحار أو التساهل » . فيجب ايجاد انسجام بين السياسة والقوة .

واخيرا يجب على امريكا ان تواجه المشكلة التي اوجدتها امامها الثورات المعادية للاستعمار مادامت الولايات المتحدة نفسها قامت نتيجة لثورة معادية للاستعمار . وان مشكلة التعامل مع الدول التي

تمر بثورات اجتماعية تخلق معضلة فعلية امام امريكا : فهل يستطيع شعب (ولد حرا) ان يفهم الشعوب التي مازالت تناضل من اجل حريتها ؟ وهل تستطيع دولة لم تمر بثورة اجتماعيه ان تفهم دولا ، جوهر السياسة فيها هو الصراع الطبقي ؟ ان المقدرة العسكرية المتضائلة والاستراتيجية العسكرية غير المرنة ليسـا وحدهما الوسيلتين اللتين يمكن ان تجعلا امريكا تفقد العالم . وانما ايضا عدم الاستجابة الكافية لاحتياجات الدول المتخلفة يمكنها ان تفقد امريكا العالم . وفي الواقع ان هذا هو اكبر تحد تواجهه الليرالية الامريكية .

اوهام العودة الى الاوضاع الطبيعية

في بداية عام ١٩٦٢ اصبح على الولايات المتحدة ان تواجه حقائق هذا العالم المتمثلة في الثورة الدائمة للشيوعيه والثورة في التكنولوجيا العسكرية . وثورة الامل المتزايدة في الدول المتخلفة ولا تستطيع الولايات المتحدة ان تتهرب من مواجهة هذه التحديات ، لان الثمن سيكون هو هلاك امريكا ذاتها ، ويقتضي ذلك ان تضع امريكا سياسة بعيدة المدى تلتزم بها .

ولكن هذا يتعارض مع القيم والتجارب الامريكية . فالشعب الامريكي لا يريد الا اتباع سياسة خارجية تستاصل الضرورة التي تستدعي وضع سياسة خارجية للمستقبل . وهذا ليس بغريب لان الامريكيين يعتقدون أن السلام هو الوضع الطبيعي للوجود ، وان كل المشكلات بما في ذلك السياسه الخارجيه يمكن حلها . وان من المفروغ منه ان الحرب الباردة سوف تنتهي ، واصبح الامر ليس هو ما اذا كانت تلك المشكلات سوف تحل ، فحلها امر مفروغ منه ، وانما الامر هو : ما الوسائل التي تتبع لتحقيق ذلك ؟ وهناك ايضا ناحيتان من نواحي الوهم الامريكي اذ كان هناك راى يقول : ان هناك

املا فى ان تتمكن الولايت المتحده من تجنب اصدار القرارات وتقديم التضحيات التى تفرضها الحرب البارده ، وذلك بأن يحدث انشقاق فى الكتلة الصينية السوفيتية وان تنضم الصين أو الاتحاد السوفيتى الى الغرب لتقف كل منهما فى وجه الأخرى . والوهم الآخر هو الاعتقاد بان التطورات الداخلية فى الاتحاد السوفيتى سوف تحوله من دولة توسعية الى دولة مجاورة طيبة لاترغب الا فى المحافظة على وحدة اراضيها واستقلالها السياسي .

وقد نشأ فى أواخر الخمسينات الاعتقاد المتعلق بحدوث انشقاق فى الكتلة السوفيتية الصينية نتيجة لاتجاه الصين بصفة مستمرة لتاكيد مساواتها بالاتحاد السوفيتي واسرادها باتخاذ اجراءات مستقلة فى السياسة الخارجيه . ولكن الخلافات التى تطرا بين الصين والاتحاد السوفيتى لا تشير الى حدوث انفصال فعلى بينهما فى المستقبل ، فالخلافات التى توجد بين الحلفاء شيء ، وحدوث انشقاق بين هؤلاء الحلفاء شيء آخر .

فمثلا لم يتحطم حلف الاطلنطى فى اثناء ازمة السويس حينما عارضت الولايات المتحدة ما قامت به حليفتها الرئيسية من دفاع عما اعتبرته مصالحها الحيوية .

ومن ناحية أخرى فان الناس لا يتحولون بسهولة عن معتقداتهم . هذا هو ما حدث فى الشيوعية كما هو الحال فى الديمقراطية .

وان الشيوعيين سيظلون شيوعيين . ولهذا فان التحدى الشيوعى سوف يبقى ، ليس هذا فقط — وانما لقد أصبح هذا التحدى اكثر خطرا مما كان عليه فى أى وقت مضي . انه تحد عالمى فى مداه ، وعسكرى وسياسي واقتصادى واجتماعى وايديولوجى فى وسائله ، وشامل فى اهدافه . وقد قال خروشوف للولايات

المتحدة . « انما سوف نحكمكم » . ومن هنا نجد ان الاعتقاد بأن التغيرات سوف تحدث داخل الاتحاد السوفييتي وتؤدي الى تحويله من النظام الجماعي — أى نظام احتكار السلطة الحاكمة لكل موارد الدولة — الى النظام الديمقراطي ، هذا الاعتقاد سيظل يتميز به المجتمع الامريكي الذى يعتقد ان كل « سياسات القوة » هى مجرد ظواهر عرضية مؤقتة ، وانه يجب ان تعود الامور الى حالتها الطبيعية . ان عاجلا او آجلا ، وانه يمكن حل كل المشكلات اذا ما استخدمت الطرق الصحيحة فى ذلك .

ومن نواحى الوهم عند الامريكيين أيضا اعتقادهم بأن التصنيع يؤدى الى الديمقراطية ، اذ معنى هذا أن الاتحاد السوفييتي سوف يتحول الى الديمقراطية ويتبع نظام المعيشة الامريكية . ولكننا نجد ، مع ذلك ، أن النمو الصناعى لم يؤد الى الديمقراطية فى الولايات المتحدة أو بريطانيا . ولكن الأسس الديمقراطية فى كل من البلدين كانت موجودة قبل التصنيع ، بل ان التصنيع فى الغرب ادى . فى مراحله الاولى . الى الاستغلال والبؤس على نطاق واسع .

وفى الواقع هناك ثلاث حقائق لا يمكن لامريكا التهرب منها وهى تدخل جيل الستينات :

اولا — ليس هناك مهرب من مواجهة التحدي الشيوعي الممثل فى روسيا والصين .

ثانيا — مالم تغير الولايات المتحدة والغرب من أسلوبهما فى العمل الذى انتهجاه خلال الخمس عشرة سنة التى اعقبت الحرب العالمية الثانية ، فانهما سوف يفقدان الحرب الباردة — فالغرب لن يستطيع ان يتحمل حدوث تحول جديد فى ميزان القوى فى الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٥ .

وقد اثبتت تجارب التاريخ ان ستالين وخروشوف قد خططا بصورة اكثر حكمة من اجل تحقيق اهدافهما ونظما طاقاتهما بمهارة اكبر لخوض الحرب الباردة بصورة تفوق ما فعله زعماء الولايات المتحدة فالحقيقة الثالثة — التي لا يمكن التهرب منها — واضحة اذن تمام الوضوح : وهي ضرورة ايجاد زعامة امريكية جديدة وقوية .

مشكلة الزعامة الديمقراطية

اذا ارادت الولايات المتحدة ان تحسن من سياستها الخارجية فانه يجب عليها اولا ان تتخطى الحدود الفكرية التي فرضتها عليها القيم التي تؤمن بها والتجارب التي مرت بها في الداخل والخارج ، وان قدرتهـــا على تحقيق ذلك يعتمد على : هل الولايات المتحدة تستطيع ايجاد زعماء سياســيين او رجال دولة لا يفهمون فقط المشكلات التي يواجهها عصر الطاقة الذرية والثورة الاجتماعية وانما لديهم ايضا الشجاعة لابلاغ الشــــعب الامريكي ببعض الحقائق الصعبة ومطالبته بتوفير الجهود لمواجهة تحديات العصر ؟ وكمـــا قال المعقب السياسي الامريكي وولتر ليبمان :

« ان الاصـوات التي ستخدم هذا البلد وتعمل على انقاذه هي اصوات الرجال ذوي الحزم الذين يطلبون بذل الجهود الشاقة » ، وان امثلة التاريخ تثبت لنا انه حينما تكرس الثروات من اجل الترف فان هذا يكون علامة اضـــمحلالها . وما لم يتوافر لامريكا الزعماء الاكفاء فان مقبرة الولايات المتحدة سوف تحمل يوما ما هذه الكلمات : « هنا ترقد الولايات المتحدة ، فقد فقدت الحرب الباردة غيابيا لان زعماءها اساءوا فهم طبيعة الزعامة الديمقراطية »

الباب التاسع

« الحدود الجديدة والديمقراطية الامريكية »

الازمة : ضرورية للعمل الديمقراطي :

واجهت حكومة كنيدي اختبار الزعامه منذ اللحظـــة الاولى لتنصيبها في يناير عام ١٩٦١ ولم يحدث لأية حكومة امريكية في القرن العشرين ، وربما في التاريخ الامريكي كله ، ان واجهت مثل هذا التحدى حين بدء قيامها بمهام الحكم . ان الازمة هي ام العمل القومي ، وحينما تختفي الازمة فان الدولة الامريكية كانت تلجأ الى الدعة والراحة من جديد .

وفي عام ١٩٥٢ كانت أمريكا منهارة من المسئوليات الدولية التي القيت على عاتقها كدولة كبرى . وقد دفعت الروح الانعزالية الشعب الامريكي الى الاعتقاد بأن نزوله الميدان الدولي سـيكون لفترة قصيرة وغير باهظ النفقات .

ولكن الحرب الباردة قضـــــت على الامل في امكان تحقيق السلامة القومية بالتخلف عن خوض ميدان السياسة الدولية او عن طريق التدخل العسكرى لفترة قصيرة .

ولقد ثبت من ذلك في وضوح أن الامن القومي لا يمكن تحقيقه بثمن بخس ، وبدون تقديم التضحيات التي لم يحدث في التاريخ ان

طلب من امريكا تقديمها . ولكن حكومة ايزنهاور خضعت مع ذلك لرغبة الشعب الامريكي في الركون للاستجمام والراحة من التوتر الدولي ، فلجأت الى التخفيف من التزاماتها السياسية والاقتصاديه والعسكرية واكتفت بأن مدت خطا حول الكتلة السوفييتية الصينيه وهددت الشيوعيين بالانتقام الشامل اذا ما عبروا هذا الخط . وكان تضاؤل الجهد الذي تبذله امريكا في المحيط الدولي على هذا النحو مدعاة لتدهور مركز أمريكا في العالم بصورة خطيرة .

ولما حل عام ١٩٦١ كان الاتحاد السوفييتي يتغلغل في جميع المجالات : في الفضاء الخارجي ، وفي آسيا والشرق الاوسط وافريقية بل في امريكا اللاتينية نفسها .

ودل الاستفتاء ، الذي اجرته احدى وكالات الاعلام الامريكيه في انحاء العالم في صيف عام ١٩٦٠ ، على ان الاتحاد السوفييتي اصبح الدولة العالمية الأولى ، وان فشل امريكا في تعبئة طاقات كامنه لخوض الصراع قد ادى الى فقدان الثقة على مقدرتها في تولي زعامة العالم .

وحينما تولت حكومة كنيدى الحكم في يناير سنة ١٩٦١ دعت الشعب الامريكي الى ان يدرك ان الحدود الجديدة للعمل في مجالات الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص ، في عصرنا الحاضر ، هي حدود العالم كله ، بعد ان كانت هـذه الحدود ، في الماضي ، هي حدود أمريكا الشمالية فقط . وقال كنيدى ان امريكا لا يمكنها ان تحافظ على بقائها كمجتمع حر في عالم تزهق فيه الحرية .

وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهت كنيدى هي : كيف يمكنه أن يدعو الشعب الامريكي لخوض معركة لم توضح امام الشعب مدى التهديدات التي تتمثل فيها ، والسبب في عدم ادراك الشعب لهذه التهديدات هو سياسة « لا حرب ولا سلام » التي اتبعتها

الحكومة السابقة . وأول أزمة اضطر كنيدي أن يواجهها دلت في الواقع على عدم مقدرة الديمقراطية على العمل قبل أن تنشأ أزمة ما . وعلى مدى فداحة الثمن الذي يجب على الديمقراطية أن تدفعه سياسيا واقتصاديا ونفسيا ــ كنتيجة لمعالجتها للأزمة بعد وقوعها .

كاسترو وتصدير « الفيديليزمو » (١)

بعد أن تولى كاسترو الحكم في كوبا أول يناير عام ١٩٥٩ عقب اسقاط حكم باتيستا الاستبدادي ، بدأ ينفذ المشروعات التي تستهدف تحسين الأحوال المعيشية للشعب الكوبي ، وكان لابد أن يصطدم مع امريكا في تنفيذ مشروعات ثورته الاجتماعية بسبب سيطرة رأس المال الامريكي على مصادر الثروة الكوبية .

وكان كاسترو معاديا لامريكا بسبب سيطرة امريكا في الماضي على كوبا وتأييدها المستمر لحكم باتيستا لآخر لحظة ، وقد سرت حينئذ في كوبا موجة من العداء الوطني ضد امريكا ، ونالت ثورة كاسترو تأييدا من الشيوعية وحصل كاسترو من الاتحاد السوفيتي على كميات ضخمة من الاسلحة وعدد من الفنيين . واخذ كاسترو يوثق علاقاته مع دول الكتلة الشيوعية .

وفي يناير عام ١٩٦١ قطعت أمريكا علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا ، ولم تكن هناك أزمة تقتضي من امريكا التدخل العسكري المباشر ولذلك نظمت أمريكا ومولت غزوا قام به المنفيون الكوبيون على أراضي كوبا بقصد اسقاط حكم كاسترو . ولكن الغزو فشل وأدى ذلك الى مزيد من التدهور لمركز أمريكا في العالم . وكان مركزها قد تدهور قبل ذلك باطلاق أول رجل سوفيتي الى الفضاء .

---

(١) الفيديليزمو [illegible]

[illegible]

وقد وضعت خطط غزو كوبا في خلال حكم ايزنهاور ، وجاء كنيدي فأعطى تأييده لهذه الخطط . ولما فشل الغزو كان هذا معناه ان كاسترو سوف يسعى الى تصدير «الفيديليزمو» الى انحاء أمريكا اللاتينية لانشاء حكومات معادية لامريكا هناك .

ومعنى هذا تسلل الشيوعيين الى امريكا اللاتينية عن طريق كوبا واندماجهم في الحركات الوطنيه المنطلقة الى تحقيق الآمال القومية والعدالة الاجتماعية . واحتمالات نجاح التغلغل الشيوعي تكمن في عدة عوامل هي : شعور الاستياء بسبب تدخل أمريكا عدة مرات في العصور الماضية في منطقة الكاريبي وامريكا الوسطى — واستثمار رءوس الاموال الفردية الامريكية على نطاق واسع وفرض السيطرة الاقتصادية على جانب كبير من اقتصاديات امريكا اللاتينية — وتأييد أمريكا المستمر للقلة من الأغنياء في أمريكا اللاتينية ، الذين يربطون انفسهم عادة براس المال الامريكي ويسمون للمحافظة على مراكزهم بانشاء دكتاتوريات عسكرية يمينية متجاهلين المساوئ الاجتماعية في البلاد — وهناك اخيرا الفقر المدقع والبؤس المشترك والامية المتفشية والجوع المستمر الذي تعاني منه غالبية الجماهير التي لا تملك شبرا واحدا من اراضي بلادها .

وهكذا نجد ان شعوب أمريكا اللاتينية تشارك شعوب الدول المتخلفة في التطلع الى هدفين هما تحقيق حياة افضل لجماهير الشعب الساخطة ، والرغبة في التحرر من الحكم الاستعماري ، الذي تمثله الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية .

ولكن امريكا لا تمارس سيطرتها الاستعمارية عن طريق الحكم السياسي والعسكري المباشر وانما عن طريق التحالف مع الارستقراطيين والاغنياء المحليين والطبقة الحاكمة المحظوظة . وهذا ربما اعطى الامريكيين شعورا ذاتيا بانهم يراعون العدالة ويسيرون في الطريق السوي ، لانهم لم يلطخوا انفسهم بعار

الاستعمار الاوربي التقليدي . ولكن هذا لم يخدع شـــعوب دول امريكا اللاتينيه التي تحولت الى منطقة نفوذ للولايات المتحدة تعتمد في معيشتها على ما تصدره لامريكا من محصولات زراعية ومواد خام وتخضع لرغباتها السياسية وفي هذه الظروف فان مدى نجاح « الفيديلزمو » وانتشارها يعتمد على عاملين : الاول : هل حكومات امريكا اللاتينية ســوف تجري الاصلاحات التي تحد من اســـتئثار المحظوظين بثروات البلاد وخيراتها ؟

والعامل الثاني : هو مدى فاعليه السياسه التي تتبعها امريكا من اجل ازالة السخط الشعبي في امريكا اللاتينية ضدها : وهــل امريكا سوف تتمكن من تأييد الحركات اليسارية غير الشيوعية ؟ وكذلك : هل الحكومات الامريكية سوف تغذي اقتصاديات امريكا اللاتينية بمليــــارات الدولارات التي ترفع من المســـتوى المعيشي لشعوبها ؟

فان لم يحدث هذا فان المستوى المعيشي لهذه الشـــعوب سوف يستمر في التدهور فتقوم الثورات فيها ، مما يؤدي الى ابتعاد دول امريكا اللاتينية ابتعادا تاما عن الولايات المتحدة .

ان الولايات المتحدة يمكنها في اي وقت اســـتخدام العمل العسكري من اجل القضاء على كاسترو ، ولكن القضــــاء على كاسترو لن يستأصل « الفيديلزمو » من امريكا اللاتينية ، فكاسترو اصبح رمزا لآمال شعوب امريكا اللاتينية في حياة اجتماعية افضل وفي تحقيق السيادة القومية . وهذا يتطلب من امريكا ان تقلل من استخدام سياسة القوة ، وان تزيد من جهودها في ميدان السياسة الاجتماعية .

الكونغو والحرب الباردة فى افريقية

تواجه حكومة كنيدي ايضا تحديات في افريقية التي تعد ثاني القارات الكبرى في العالم وجزءا لا يتجزأ من جزيرة العالم التى تحدث عنها ماكيندر (١)

والمشكلة الكبرى التى توجدها افريقية امام كنيدي هى التاريخ الاستعمارى والأوضاع السياسية المتخلفة وعدم الاستقرار السياسى والصراع السياسى بين المستوطنين البيض والسكان الأصليين ، وبخاصة في جنوب افريقيه ، كل ذلك ادى الى ايجاد ظروف ملائمة يستغلها الشيوعيون لربط انفسهم بالحركات الوطنيه الافريقية . وقد اخذ الاتحاد السوفيتى يقدم المعونات العسكرية والاقتصادية والفنية لعدد من الدول الافريقية .

وقد خاضت امريكا الصراع من أجل افريقيه حينما استقل كونغو « ليوبولدفيل » عن بلجيكا فى ٣٠ من يونيو عام ١٩٦٠ وتولى « باتريس لومومبا » زعيم الحزب الوطنى رياسة الوزارة وتولى « كازافوبو » رياسة الجمهورية . ولكن مالبثت الكونغو ، بعد ايام قلائل من استقلاله ، ان وقع فى الاضطرابات . فقد اعلن تشومبى ، حاكم اقليم كاتانجا ، انفصال هذا الاقليم عن الكونغو .

وكاتانجا تعد أكبر مصدر للعائدات التي يحصل عليها الكونغو من صادرات كاتانجا من النحاس والكوبالت .

وايد تشومبى فى هذه "خطوة اصحاب المصالح البلجيكيه التعدينية القوية . وفى الوقت نفسه بدأ جيش الكونغو يثور ويطالب

---

(١) هالفورد ماكيندر هو عالم الجغرافيا [illegible] الانجليزى وهو المقصود بجزيرة العالم أوراسيا وافريقيا [illegible] من يحكم جزيرة العالم فانه يسيطر على العالم (راجع الباب الأول) .

باستبدال ضباطه البلجيكيين بضباط وطنيين ، اذ لم يكن في الكونغو لدى استقلاله ضابط كونغوي واحد ، كما لم يكن به سوى ١٥ من خريجي الجامعة . وحينئذ ارسلت بلجيكا قوات مظلاتها الى الكونغو لحماية مصالحها . فطلب لومومبا من الأمم المتحدة مساعدته ضد التدخل البلجيكي . وهنا دخلت الحرب الباردة أرض الكونغو . فقوات الأمم المتحدة لم تجبر بلجيكا على سحب قوات المظلات ولم تستجب لطلب لومومبا فيما يتعلق بمساعدته في استعادة سيطرته على كاتانجا .

وهنا بدا لومومبا يهاجم همرشلد ويتهم بلجيكا والدول الغربية، وبخاصة الولايات المتحدة ، بالتآمر ضده وطلب لومومبا من الاتحاد السوفييتي مساعدته في منع تمزق وحدة الكونغو وزودته روسيا بالتأييد الدبلوماسي والعسكري كما اولته عدة دول محايدة ، وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة وغينيا وغانا ، تأييدها ومساعدتها .

وقد اعلن البرت كالونجي ، حاكم اقليم جنوبي كاساي ، انفصال الاقليم عن الكونغو واعلن كازافوبو طرد لومومبا من رياسة الوزارة وتعيين جوزيف ايليو رئيسا للوزارة . ولكن لومومبا اعلن بدوره طرد كازافوبو من منصبه . وجاء الكولونيل موبوتو ، قائد الجيش ، فاعلن الغاء طرد أي من لومومبا او كازافوبو ، وشكل حكومة انتقالية من خريجي الجامعة وطرد كل ممثلي الاتحاد السوفييتي في الكونغو .

وقد أصر الاتحاد السوفييتي على أن لومومبا هو رئيس الوزراء الشرعي للكونغو . ولكن الولايات المتحدة اخذت تؤيد موبوتو وتعتبره افضل أداة لاستئصال النفوذ الشيوعي من الكونغو وربما القضاء على التغلغل الشيوعي المحتمل في قلب افريقية . وحينئذ بلغت الخلافات الامريكية السوفييتية في الكونغو مرحلة

مريرة . وقد طالبت روسيا في ذلك الوقت باستقالة همرشلد وتعيين سكرتيرية ثلاثية للأمم المتحدة تضم عضوا من الشرق وآخر من الغرب وثالثا من مجموعة الدول الحيادية . واشتد هجوم روسيا على الامم المتحدة حين مصرع لومومبا في فبراير ١٩٦١ وطلب بانسحاب قوة الأمم المتحدة من الكونغو ، واعلن انه ان يعترف الا بحكومة انطوان جيزنجا ، خليفة لومومبا ، كحكومة شرعية . وقد ثار ذلك مخاوف امريكا من ان يعمد الاتحاد السوفييتي الى بناء حشد جيزنجا وجعله جيشا مواليا للشيوعية ليصبح قوة ضاربه معادية للغرب . وذكرت الانباء في ذلك الوقت ان الامدادات العسكرية ارسلت الى جيزنجا عن طريق احدى الدول العربية . وقد هدد الرئيس كيندي حينئذ بان الولايات المتحدة لا يمكنها ان تتحمل هذا التدخل من جانب روسيا او الدولة العربية .

جنوب شرقي آسيا والهزيمة في لاوس

وجدت السياسة الخارجية الامريكية نفسها تواجه من جديد عام ١٩٦١ عواقب سياسة « حافة الحرب » الخطيرة التي اتبعت في الهند الصينية من قبل وادت الى الاتفاق على تقسيم فيتنام ، وتحييد لاوس وكمبوديا ، وانشاء لجنة مراقبة دولية للاشراف على تنفيذ الاتفاق . واجهت امريكا عواقب هذه السياسة في لاوس . وكانت لاوس منقسمة منذ البداية الى ثلاث فئات : حيادية ، وشيوعية ، « باثيت لاو » وموالية للغرب . وقد شكل الامير « سوفانا فوما » زعيم الفئة الحيادية ، حكومة ائتلافية هناك ، واخذ يعمل على تحقيق وضع حيادي مستقل في لاوس بحيث لاترتبط بالاحلاف او باية من الكتلتين الامريكية والشيوعية ، ولكن سوفانا فوما سرعان ما قدم استقالته واتهم جماعة « باثيت لاو » الشيوعية بسوء النية واعقب ذلك سيطرة الفئة الموالية للغرب على الحكم ،

مسارع ايزنهاور بدعم هده الفئه وتزويدها بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية . ولكن « كونج لى » قائد لقوات الحيادية قسب هـذه الحكومة وأعاد الأمير « سوفانا فوما » الذى شكل حكومة ائتلافية من جديد من أجل انهاء الحرب الاهلية فى البلاد . ولكن أمريكا شعرت بقلق لاعتقادها بأن « سوفانا فوما » يعتمد على قوات « باثيت لاو » فى منحه التأييد والمساندة ، فقامت امريكا بتزويد قوات « فومى موسافان » الموالية للغرب بالاسلحة والمساعدات ، فبدأ زحفه من الجنوب نحو العاصمة « فيينتيان » وتمكن من قلب حكومة « سوفانا فوما » من جديد وعين الامير « بون اوم » الموالى للغرب ، رئيسا للوزارة . وهناك اعلن الاتحاد السوفييتى انه لايعترف لا بحكومة « سوفانا فوما » كحكومة شرعية للاوس . وبدأ يرسل الامدادات العسكرية الى قوات « باثيت لاو » الشيوعية التى سارعت باحتلال ثلاثة اقاليم من لاوس على حدود الصين .

وهكذا وجد الرئيس الامريكى كيندى نفسه ، حين توليه الحكم ، فى موقف لايحسد عليه ، فهو اما أن يتجنب التدخل فى لاوس ويترك منطقة جنوب شرقى آسيا كلها للاضطرابات ، او أن يتدخل فى هذه المنطقة التى لا تصلح الا لحرب العصابات التى تتفوق فيها الشيوعيون ، والجأ كيندى الى حل وسط ؛ فنبذ سياسة ايزنهاور القائمة على تنصيب حكومات موالية للغرب فى لاوس ، واعلن أن هدف أمريكا هو ايجاد لاوس مستقلة ومحايدة تماما . وقد دعت بريطانيا فى ذلك الوقت الى وقف اطلاق النار على لاوس واحياء لجنة الرقابة الدولية لتشرف على الهدنة هناك ، وفى الوقت نفسه كانت قوات « باثيت لاو » الشيوعية تحرز الانتصارات المستمرة .

والواقع أن الاقتراح البريطانى كان بمثابة اجراء لجأت اليه بريطانيا وأمريكا لانقاذ ماء وجهيهما بعد ان تهربت أمريكا من خوض

حرب محدودة فى لاوس لعدم استعدادها لخوض هذا النوع من الحروب وبخاصة حرب العصابات . كما كان هنــــاك احتمال لتدخل الصين فى الحرب بقوات ضخمة . وبذلك يتكرر الوضـــع الذي كان قائما عام ١٩٥٤ ويصاب الغرب بهزيمة أخرى سياسية ونفسية . واثبتت هذه التطورات عدم مقدرة حلف جنوب شرقي آسيا على حماية لاوس بعد ان اخفقت امريكا ، فى عهد ايزنهاور وعهد كيندي ، فى الوفاء بالتزاماتها . ولم يكن ذلك فقط دافعــا للشيوعية للتقدم الى الامام وانما زاد أيضا من عدد الاصـــوات المطالبة بالحياد فى باكستان وتايلاند بسبب عدم مقدرة امريكا على حماية المنطقة .

وهكذا ثبت من جديد أن القوة الذرية الهائلة للقيادة الجـــوية الاستراتيجية عاجزة عن القيام بأى عمل فى ظروف تقل عن الحرب الشاملة ، مما أصاب السياسة الخارجية الامريكية بهزيمة جديدة . واذا ماسارت السياسة الخارجية الامريكية على هذا المنوال فمن سقوط فيتنام الجنوبية وتايلاند فى أيدى الشيوعيين سيكون مسألة وقت . وحينئذ يزداد الضغط الشيوعي على الملايو واندونيســيا وبورما والهند .

برلين واعادة بناء القوة الامريكية

كان من المؤكد أن السوفييت سوف يثيرون مشكلة برلين من جديد بعد ان تولى حكومة كيندي السلطة . فقد كان خروشوف مقتنع بأن ميزان القوى الدولي يتجه لمصلحته وبخاصة بعد هزيمة الغرب فى كوبا ولاوس ، الامر الذي يشجع خروشوف على السعي من أجل الاستحواذ على برلين الغربية . ففى كوبا رفضت أمريكا استخدام قواتها العسكرية على الرغم من فشل محاولة الغزو التي دبرتها أمريكا ونظمتها وقام بها المنفيون الكوبيون ، وفى لاوس

رغبت امريكا بتأييد قواتها بالاعمال الايجابية على الرغـــــم من تهديداتها المكررة بالتدخل .

وفي مواجهة هذا الموقف اراد كيندي ان يجتمع مع خروشوف حتى يحذره من عواقب الاندفاع في برلين ، ويبلغه ان هزيمة الغرب في كوبا ولاوس لا تعني ان الولايات المتحدة ليست قوية ، و انها لن تستخدم قوتها لحماية مصالحها الحيوية في برلين او في اى مكان آخر في العـــالم ، ولهذا فانه يجب على رئيس الوزارة السوفييتية ان يكون على حذر من اساءة تقدير الموقف ، لانه ان فعل ذلك فسوف يدفع بالعالم نحو الحرب الشاملة . وعلى كندى ان الغرب مصر على الدفاع عن برلين الغربية . ولكن خروشوف رد على ذلك بأن جدد مرة أخرى تهديده بتصفية الوضع في برلين في خلال ستة اشهر ، أي قبل نهاية عام ١٩٦١ ، في محاولة منه لاختبار مدى العزم الذي يتمتع به كيندي .

وهذا التحدى الجديد من جانب خروشوف لم يكن ليدعو الى الدهشة ، لان خروشوف كان يدرك ادراكا تاما ان الاســــتراتيجية الامريكية التى تعد نتاج المواقف التي وضعها امريكا تجاه « سياسة القوة » تصيب الدبلوماسية الامريكية بالشــــلل في حين نجد ان التوسع السوفيتي المحدود ، وغير المباشر ، قد حقق نجاحا في مناطق محطمة وخاصـــة في آسيا . وخروشوف انما يحرب هنا في قلب اوربا الطريقة التي اختبرت ونجحت من أجـــل تحقيق عدمه في حلف الاطلنطي ، الذي يعتبر درعا لامريكا ، وعرقلة الاتجاه نحو تحقيق اوربا القوية المتحدة .

وكان رد كندى على الازمة المتجددة في برلين مماثلا لرد ايزنهاور على هذه الازمة من قبل ، كما يختلف عنه في الوقت نفســـه . فقد أعلن كيندي هو ايضا رغبته في التفاوض بشـــأن برلين ، ولكنه

اوضح انه ليس على استعداد لان يبحث الوسيلة التي ينسحب بها الغرب من برلين .

وفى ١٣ من أغسطس عام ١٩٦١ بنى الشيوعيون الجدار الفاصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية ، ولكن الغرب لم يقم بعمل مضاد تجاه هذا الاجراء الذى يعد انتهاكا لوضع الاحتلال الرباعي في برلين . وكان موقف عدم التصرف هذا من جانب الغرب دليلا جديدا يؤكد لخروشوف انه يستطيع ان يضغط على حلف الاطلنطى بالتدريج حتى يحمل الغرب على الانسحاب من برلين .

وعلى العكس من ايزنهاور لجا كيندى الى مواجهة التوتر فى برلين بزيادة القوة العسكرية الامريكية . فقد اراد كيندى ان يثبت لخروشوف انه كان جادا حينما اعلن اعتزامه الدفاع عن برلين الغربية . واول خطوة لجا اليها كيندى هى التقليل من « انكشاف » القوة الجوية التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية ، والتقليل من فرص تعرضها للدمار وهى على الارض فى حالة الهجوم المفاجىء الذى قد يقع نتيجة لتفوق السوفييت على امريكا فيما لديهم من الصواريخ . ويمكن تحقيق ذلك بجعل نصف عدد الطائرات القاذفة للقنابل التابعة للقيادة الجوية الاستراتيجية فى حالة استعداد دائم فى المطارات . ورأى كيندى ان الوسيلة الثانية لدعم قوة امريكا العسكرية وضمان سلامتها هى الاسراع فى تنفيذ برنامج بناء غواصات « بولاريس » التى تعمل بالطاقة الذرية ، ويقضى البرنامج بصنع ٤١ غواصة ذرية مزودة بالصواريخ ، وبذلك تكون قوة الغواصات هذه غير معرضة للضرب ، مما يمكن امريكا من تحمل الهجوم المفاجىء من جانب روسيا ، وهى محتفظة بقوة كافية لتوجيه ضربات انتقامية نحو روسيا تكفى لتدميرها تدميرا تاما .

واتجهت الحكومة ايضا الى زيادة مقدرة امريكا على خوض

الحروب المحدودة بالاسلحة التقليدية ، وذلك باعادة تنظيم فرق الجيش وزيادة عدد القوات وتطوير الاسلحة غير الذرية ، ودعم امكانيات النقل الجوى وتزويد البحرية « بقوات الطوارىء » التى ترسل الى مناطق الاضطرابات اول الامر ، على أن يتدخل الجيش بعد ذلك . كما كلف الجيش بمهمة اعداد قوات خاصة مدربة على حرب العصابات ، وبذلك اتجهت الحكومة الى اعادة تنظيم القوة العسكرية لامريكا على أساس وظيفى : فتصبح هناك قوة لخوض الحرب الشاملة ، وقوة اخرى لخوض الحروب المحدودة .

وحصل كيندى على تفويض من الكونجرس يتيح له استدعاء ٢٥٠ الفا من قوات الاحتياط للخدمة لمدة عام ، كما أن لديه سلطة استدعاء مليون من القوات الاحتياطية للخدمة العسكرية العاملة فى حالة اعلان الطوارىء .

وقامت الدول المتحالفة مع امريكا ، وبخاصة بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا ، بدعم قواتها . وازداد حجم قوات الحلفاء الى ٢٥ فرقة بعد أن كان ٢١ فرقة . والهدف من هذه الزيادة فى قوة الغرب هو تمكين حلف الاطلنطى من الرد فى مرونة على الاعمال التى يقوم بها السوفييت ، وبذلك أصبحت استراتيجية الانتقام الشامل هى الحل الاخـــير الذى يطبق بعد ان كانت هى الخطوة الأولى والوحيدة التى تتبع .

ولكن كيندى لم يحصر جهده فى الاستعداد للرد الدبلوماسى والعسكرى فى أوربا وحدها . فقد كان كيندى يدرك ان خروشوف مقتنع بأن القوة والنفوذ الدوليين للغرب يتضاءلان بسرعة نتيجـــة للثورة المعادية للاستعمار والفرصـــة التى تتيحها هذه الثورة للشيوعيين لاســـتغلال الشعور الوطنى المعادى للغرب والآلام الاجتماعية التى تعانى منها شعوب المناطق المتخلفة . واصـــبح من الضرورى جدا بذل الجهود الكبيرة لمساعدة الدول المتخلفة على

تحقيق مجتمعات اكثر استقرارا ورضاء ، وأن تتمكن من الوقوف على قدميها حتى لاتصبح عرضة للتأثر باغراءات السوفييت . ولهذا فقد وقع كيندى على معاهدة تقضى بانضمام أمريكا الى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية ، كما حث على اعادة النظر من جديد فى مشكلة المعونة الخارجية كلها بصورة تجعل هذه المعونة قادرة على تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى الدول المتخلفة ، وذلك بأن تقدم هذه المعونة فى صورة اتفاق تلتزم بموجبه أمريكا تقديم المعونة لفترة خمس سنوات على الاقل ، ولكن المعونة الامريكية فى الواقع مرتبطة بشروط سياسية ، فأمريكا تشعر ان المعونة يجب الا تقدم الا للدول التى ستساعد نفسها بصورة فعالية ، وانه مالم تتحقق الاصطلاحات الاجتماعية الضرورية للتنمية الاقتصادية فان رءوس الاموال الامريكية سوف تضيع هباء ، ولهذا فانه يجب على هذه الدول أن تحقق الاصطلاحات الديمقراطية والا تستمر فى توجيه الانتقادات الى الولايات المتحدة او أن تتبع سياسة موالية للسوفييت .

وبالنسبة لأمريكا اللاتينية وضع كيندى برنامج « التحالف من اجل التقدم » لمساعدة الدول المتخلفة فى أمريكا اللاتينية على انشاء مجتمعات حرة .

ولتحقيق هذا الهدف يجب توفير كميات كبيرة من المال وتحقيق معرفة كبيرة بالسياسة الاجتماعية لدى الطبقات المحلية الحاكمة . ويجب على امريكا ان تشكر خصومها لأنه لولا قيامهم باستعراض عضلاتهم ، ولولا وقوع الازمات ، مثل أزمتى كوبا وبرلين ، لما اتخذت امريكا هذه الاجراءات التى تعد ـ على الرغم مما تتطلبه من تضحيات جسيمة بالأرواح والاموال ـ ضرورية للمحافظة على سلامة أمريكا وحريتها .

فهرس


الدار القومية للطباعة والنشر